غرائب الأسماء المصرية

بقلم

عباس الطرابيلي



الزهراء للإعلام العربي



الزهراء للإعلام العربي
قســـم النشــر

ص.ب ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس: ٩٤٠٢١ رائف يو إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

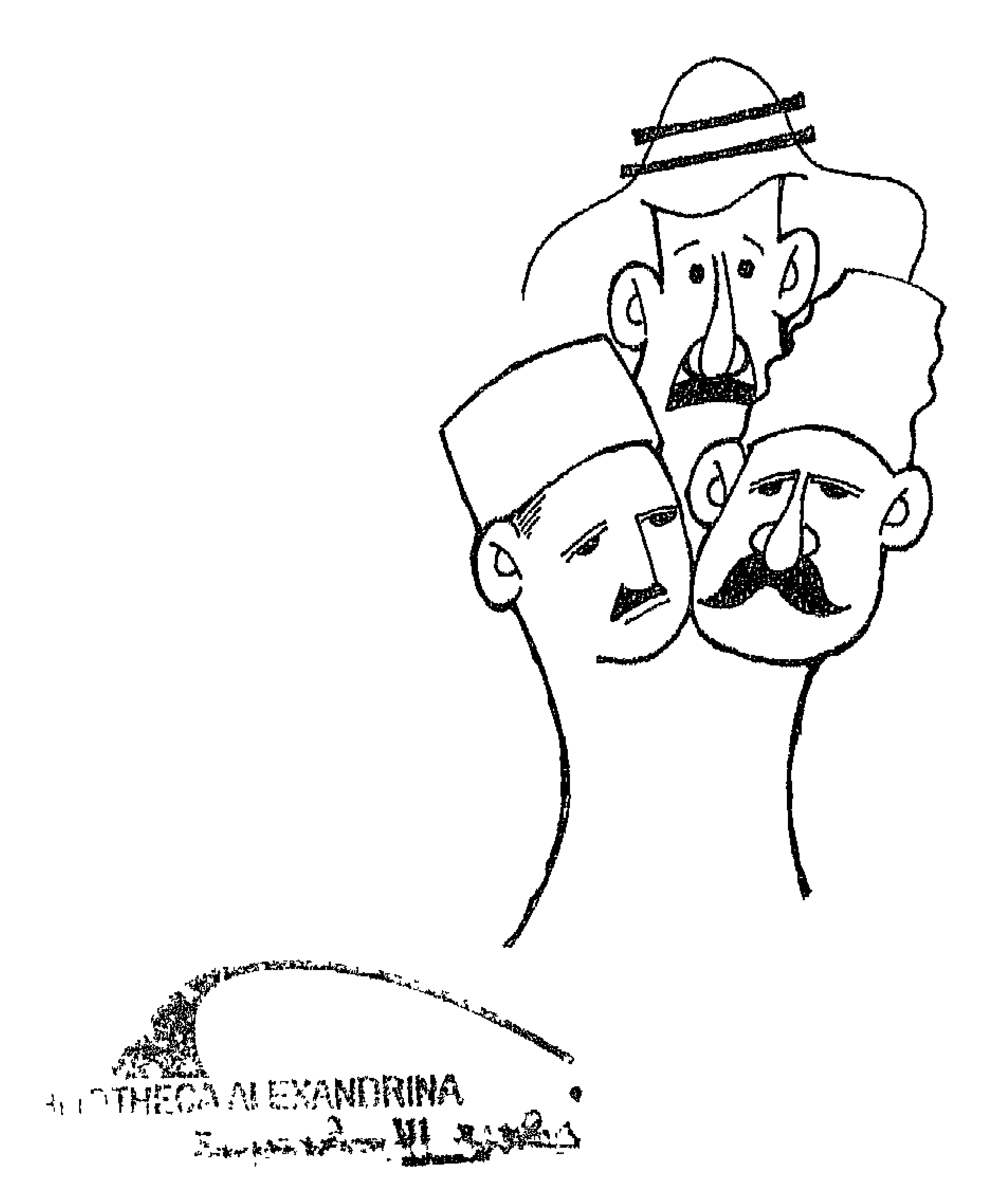
الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ ـــ ١٩٩٢ م

الجمع التصويري والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربي

غرائبُ الأسْماءِ المصْريّة

بقلم

عباس الطرابيلى



الزهراء للإعلام العربي

من أين جاءوا ؟

للمصريين ، على مدى التاريخ ، فلسفات خاصة بالأسماء .. بل وولع بالغريب منها ، والطريف . وإذا كنا قد سمعنا في فترات عديدة من أطلق على أولاده أسماء هتلر وكرومر وولسون وموسوليني .. سمعنا من أعجب بأبطال شعوب أخرى فأطلق على أولاده أسماءهم مثل غاندي وتيتو ونهرو .

وإذا تركنا حتى من « تفرنج » أكثر وتسمى باسم « بول » فإننا نجد فلسفة الأسماء المصرية تعتمد على قواعد ثابتة وأصول قل أن تخيب !!

فتحت حكم الدولة العثمانية التي حكمت معظم دول الشرق من حدودها مع إيران شرقا إلى أقصى الشمال الأفريقي نجد أن المصري كان ذكيا في إطلاق الأسماء والصفات ، والأنساب .. فتحت هذا الحكم الواحد كانت حرية حركة الفرد مطلقة . فلا جوازات ولا بوابات تفتيش . وكان لابد للمصري أن يفرق بين المواطن المصري الخالص ، ومن دخل بلاده وأقام فيها .

•• مثلا كان يطلق على القادم من العراق اسم العراقي . ومن الشام .. الشامي . ومن تونس .. التونسي .. وهكذا وجدنا : المغربي

والجزائرلي والتركي .. وفي ظل الدولة الإسلامية الواحدة وجدنا في مصر من قدم من جزيرة قبرص فأصبح اسمه القبرصلي . ومن أتى من جزيرة كريت فأصبح الكريتلي ثم تحور إلى الجريدلي ومن هؤلاء نجد القائمقام مصطفى أفندي القبرصلي وكيل ديوان محافظة القاهرة .. وأيضا مصطفى باشا الكريدلي الذي كان محافظًا للقاهرة أيام محمد سعيد باشا وبعد تحور الاسم وجدنا الدكتور علي الجريتلي رجل الاقتصاد المعروف . وهكذا وجدنا : الأناضولي والأزميرلي والصقلي وأحدهم هو الذي فتح مصر للفاطميين : جوهر الصقلي ابن جزيرة صقلية الإيطالية الآن التي لعب على أرضها فريقنا القومي لكرة القدم في كأس العالم !!

●●وبعد أن استقرت العائلات الوافدة من الدول الإسلامية الشقيقة ، وحملت أسماء أوطانها ، كانت الخطوة التالية هي التفرقة بين أبناء المدن ، حتى يسهل التعرف عليهم .. فوجدنا في مصر أسماء عائلات : الطرابلسي . وهي من عائلات طرابلس الشام ثاني أكبر مدن لبنان الآن ومن أشهرهم في مصر مجيد الطرابلسي الذي كان واحدًا من أكبر الرجال وزنًا .. وجسمًا . النابلسي ومن منا ينسى الفنان الباسم ذا اللون المميز عبد السلام النابلسي الذي كان قاسما مشتركا في معظم أفلام السينما المصرية الضاحكة . القدسي . عكاوي . الدمشقي . البغدادي . والجداوي نسبة إلى جدة الميناء الرئيسي للسعودية منذ قديم الزمن . الموصلي . البصري أو « بصري » . الحموي . الحلبي . المكاوي .

اليافي . تماما كما وجدنا الشيخ رفاعة رافع « الطهطاوي » .. وعباس « الأسواني » . وسمير .. « الإسكندراني » . والشيخ علي .. « الطنطاوي » . وحسن .. « الدمنهوري » . وغاندي .. « الأسيوطي » .. والمنياوي .. والدمياطي .. والسلاموني والمنصوري والزفتاوي . والبرلسي نسبة إلى برج البرلس في أقصى شمال دلتا مصر ، التي تنسب هي أصلا للبحيرة المشهورة .

وبجانب كل هؤلاء هناك من ينسب إلى « الإقليم » الذي جاء منه مثل : الصعيدي . البحراوي . البحيري . الشرقاوي . الجيزاوي .

ثم إن المصري ــ استمرارا لسياسة التعريف بالناس ــ كان يطلق على صاحب كل حرفة اسم حرفته فوجدنا : أحمد « الحداد » وما هو الآن بحداد !! ووجدنا الآن الشيخ ... النجار وما هو الآن بنجار .. والطرابيشي ، ولم يكن كذلك ، بل استمر الاسم بعد أن اختفت صناعة الطرابيش ، أو كادت .. وهكذا وجدنا : الخشاب . السماك . الدهان . والغريب أن دهان هذا الزمان لم يعد يعمل دهانا .. اللهم إذا اعتبرنا دوره في إعداد الكفتة والكباب نوعا من « دهن » بطون الناس بالدهن وليس بالزيت .. ووجدنا : الدكتور محمد حسن الزيات وكان وزيرا نشطا لخارجية مصر ، ولم يكن أحد من أجداده القريبين زياتا أو بائعا للزيت . ولكن المؤكد أن جده الأكبر كان زياتا .. ولن ننسى « الأستاذ » أحمد حسن الزيات

صاحب « الرسالة » التي تتلمذ عليها كل العرب وسمعنا عن معروف « الإسكافي » ومن الواضح أن الاسم انقرض مع انقراض مهنة الإسكافية أي إصلاح الأحذية ، وإن كان يجب أن تعود بعد التهاب أسعار الأحذية .. ووجدنا « الرفا » وهو الذي كان يصلح الملابس الغالية الصوفية أو المصنوعة من « الجوخ » وأين نحن من جوخ زمان .. وهناك « الحديدي » وأغلب الظن أنهم تركوا مهنة الحدادة وأصبح منهم الأطباء ، بل والوزراء .

ثم وجدنا الصايغ . والقماش . والحريري . وإن كان أحد أحفادهم قد أصبح ممثلا موهوبا ذا طعم فني خاص .. والحمامي ، وكانت صنعة الحمامية من أكبر الحرف لانتشار الحمامات الشعبية في كل مدن مصر القديمة حتى ثلاثينيات القرن الحالي .. وهناك « السقا » ذلك الذي كان يرهق نفسه بحمل « قربة » الماء على ظهره من النيل أو من الحنفية العمومية إلى البيوت ، وعندنا الآن صلاح « السقا » لاعب العرائس قديما .. ومصممها حاليا . ورأفت « الخياط » الذي كان جده الأول خياطا ولكنه أصبح الآن صحفيا . ووجدنا في دمياط عائلة « الصحفي » والغريب أنهم الآن يتاجرون في القماش ولا يعملون بالصحافة ورغم هذا فهم يزدادون تمسكا بلقب الصحفي !! وعائلة « البواب » ومنها من يعمل بالطب الآن !! ولكن ماذا نقول في عائلة « عسل » التي كان جدها الأكبر بائعا للعسل وإلا فمن أين جاء هذا الاسم ، ثم أصبحوا تجارًا للحبوب ، أو أصحاب أكبر مصنع للأحذية .. اللهم إذا كانوا كالعسل !! وهناك

عائلة عسل المسلمة في « بحري » وعائلة عسل المسيحية في « قبلي » ولا قرابة بينهما .

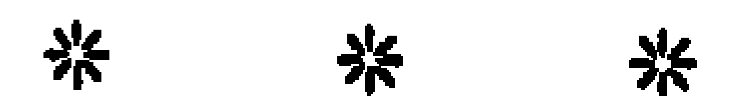
وإذا تركنا أسماء الحرف ، وهي بحر واسع .. نجد أن المصري كان مغرما بأسماء القوة التي تضفي عليه هيبة وعظمة ، فوجدنا عائلات الأسد . والنمر . والفيل . والسبع . ودرغام ــ والدرغام هو الأسد ــ والحوت .

وهناك من فضل أسماء المكر والدهاء والخبث مثل : تعلب . ديب . صقر .. وأيضا وجدنا من الطيور من أخذ أسماء : عصفور . العصفوري . غراب . حداية . بلبل . كروان .

تماما كما وجدنا أسماء : القط والفأر والجحش .. والغريب أن بين هؤلاء من ذاع صيته في صنع الفول والطعمية في مصر ودمياط !! وعلى هذا المنوال ومحاولة للحصول على بعض المزايا السمعية وجدنا من يحاول أن يتشبه بالعائلات الكبيرة .. فوجدنا عائلات : الأمير . وأغلب الظن أن جد هذه العائلة كان عمدة قريته . أما « الريس » فهي أكبر عائلات المنزلة والمطرية .. وهو لقب يطلق على « ريس » المركب وإن كان منها الآن أطباء وصيادلة وصحفيون وتجار كبار ..

والطريف أن هناك من يحمل أسماء النباتات والخضر والفاكهة ، مثلا عائلات : بصل وكرات وجزر وفلفل وكراوية . والبرتقالي وزغلول . والطريف أنه خلال فوران شعب مصر بالثورة التي فجرها الوفد وزعيمه سعد زغلول ، وجدنا أن سلطات الاحتلال منعت

الناس من الهتاف باسم سعد زغلول .. وبعبقرية هذا الشعب خرج الناس يغنون لزغلول و لم تتحرك « السلطة » ظنا منها أنهم يغنون للبلح الزغلول .. بينما هم في حقيقة الأمر يغنون ويهتفون باسم زعيمهم الخالد ..



المصريون .. وآل البيت

لأن البعض يحمل أسماء لا يعرف معناها .. وربما لم يفكر فيها ، أو ربما لأنه يحمل اسما ليس من صنعه هو .. بل ولد ليحمل اسما اختاره الأب أو الأم .. أو الجد .. ولأننا شعب طويل العمر نبتت جذوره من بطن التاريخ ذاته .. فإن أسماءنا جزء من تاريخنا ..

وبداية نحن « شعب ديني » بكل معاني هذه الكلمة .. والدليل راسخ في الأهرام والمعابد .. فليس هناك شعب قدم 20 عاما من جهده وعرقه ليبني مجرد مقبرة ؛. ولكنها القناعة الدينية . بدليل أن هذا « الشعور الديني » لم يتوقف عند بناء الهرم الأكبر ، بل سبقته أهرام أخرى « سقارة المدرج » وتبعته أهرام ، خفرع ومنقرع وعشرات أخرى من الأهرام ، وللعلم من الخطأ أن نقول أهرامات فالمفرد هرم والجمع أهرام ..

ولأننا هذا الشعب الديني ، أو الشعب المتدين إن صح التعبير الثاني و لم يصح الأول فقد أطلقنا على أنفسنا أسماء الأنبياء كلهم بلا استثناء فنجد مثلا أسماء : إبراهيم . نوح . آدم . يوسف . موسى . يونس . إسماعيل . إسحق . عيسى . وهذه الأسماء يحملها في مصر : المسلم والمسيحي . واليهودي على السواء .. ثم ، ولأننا من أكثر

شعوب الإسلام حبا لآل البيت وعشقا لهم تجدنا نسمي : محمدا وأحمد ومحمودا ومصطفى ، وليست نكتة أن نصف المصريين اسمهم « محمد » ..

وبعد اسم خير الأنبياء ، وامتدادا لعشق المصريين لآل البيت النبوي الشريف ، ولأننا نقف دائما مع المظلومين ، « ويابخت من بات مظلوم » فإن من الأسماء الشائعة ـــ وليست من الشيعة ـــ نجد أسماء : علي ، حسن ، حسين ، أو الحسن والحسين والحسيني . ومن أسماء النساء تنتشر أسماء : زينب ، عائشة ، خديجة ، وسكينة ، ونفيسة .

وفي المقابل ولأن المصريين يرفضون الظلم ، بل ويلعنون الظالم فإننا لا نجد مصريا يتسمى بأسماء معاوية ويزيد رفضا لدور الأول في قتاله مع الإمام علي ابن عم الرسول وزوج ابنته ووالد حفيديه .. واستنكارا لدور الثاني « يزيد » في التنكيل بالحسين ومصرعه على أيدي جنوده الذين حملوا إليه رأس الحسين في دمشق ، بعد أن قتلوه في كربلاء .. وإذا وجدنا هذه الأسماء في الشام مثلا فإنما لأن معاوية اتخذ من دمشق حاضرة لملك الأمويين فارتفع صيتها بين العواصم .. كما لم نجد مصريا يتسمى باسم سفيان لقتاله للنبي في صدر الإسلام .. وإن وجدناه في سوريا لنفس السبب وهو أنه جد الأمويين ..

ثم هناك ظاهرة لن تجد من يتجرأ عليها أو يرفضها .. ذلك أنه لأننا شعب هادئ الطباع ؛ لأن « الناس أبناء أنهارهم » فإننا مسالمون .. فالنيل من الأنهار الهادئة . ونادرًا ما يثور بل نادرًا ما يغير

مجراه . على عكس الأنهار الثائرة التي تغير على القرى وتكتسحها ، فتقتل وتدمر . الأنهار الأولى وادعة . حنون . تأتي دائما بالخير .. بينما الثانية عنيفة . باطشة . ولهذا نجد أن المصريين اختاروا من أسماء الله الحسنى أسماء وصفات تعبر عن الامتنان . وعن الوداعة ، تعبر عن روح النهر الذي رضعوا منه ، وتكونت خلاياهم .. وسلوكياتهم . ولهذا نجدهم يفضلون من الأسماء : عبد الهادي ، عبد اللطيف ، عبد العاطي ، عبد السلام ، عبد الوهاب ، عبد الغفار ، عبد الباسط ،عبد الحليم ، عبد الرحيم ، بينما غيرهم من الشعوب الإسلامية يفضل من أسماء الله الحسنى : عبد القاهر . عبد الجبار . عبد القوي . وعبد المانع . وعبد القهار .

والوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط في مصر لا تتوقف فقط عند التآلف والتعايش بسلام ، وربما عبر عن ذلك مكرم عبيد عندما قال إن مصر كالأم رضع المسلم من ثدي .. ورضع المسيحي القبطي من الثدي الآخر . ولهذا تجد كلا من المسلم والقبطي يتسمى بأسماء واحدة فتجد فيها : رفعت ، كامل ، مجدي ، شفيق ، سعد ، نجيب ، زكي ، عبيد ، شكري ، صبحي ، صبري ، وتجد في الاثنين معا من أسماء التأنيث : آمال ، منى ، نادية ، مرفت .. ولا عجب في ذلك فكلهم : مصريون رضعوا من نفس النهر .. ونبتوا من نفس المنبت والأصل .

ولأننا شعب له تاريخ ، فإننا جميعا نعشق الأسماء العريقة ،

وبالذات الفرعونية ، وليس لهذا صلة بالدين أو الملة .. ولكنه تقديس للأجداد واعتراف بعقلهم .. فنجد مثلا : رمسيس ، مينا ، تحتمس ، أحمس .

ثم تتجلى فلسفات المصري الحكيم التي تعشق « الذرية » وتتغنى « بالعددية » فالأولاد « عزوة » .. وهم « سند » وهم القوى العاملة في الأرض والورشة .. لهذا ليس غريبا ، وقد بلغنا رقم الستة والخمسين مليون نسمة أننا لا نكتفي بمحمد واحد .. فنجد محمدين . ونعشق حسن فنسمي حسنين . وبالإضافة إلى عوض .. نسمي عوضين !! كل هذا بينما نجد شعوبا عربية رغم قلة عدد سكانها تعشق أسماء التصغير .. هل يبحث أحد سر هذه الفلسفة المصرية العميقة ليفسرها لنا ؟!

والمصري يعشق الليل والنهار والنجوم والكواكب ، وربما نجد لهذا أصلا دينيا . فهم شعب متأمل ،دائما ما يتطلع إلى السماء ؛ ولهذا ليس غريبا أن نجد أسماء : قمر ، شمس ، هلال ، بدر ، نجم ، نجمة ، كوكب ، الكواكبي .. وليل !! هل لهذا أصول دينية منذ أيام الفراعنة وبحثهم عن « الإله الأعظم » وأن هذا الإله ليس أرضيا بل هو سماوي يأتي من العلا .. من فوق .

وإذا كانت قد سادت الآن أسماء : باكو وأرنب وفيل ، تعبيرا عن مادية العصر الذي نعيشه الآن ، فإن من المصريين من تسموا بأسماء مادية حتى منذ القدم . لهذا وجدنا أسماء : دراهم ، الديناري ، دهب ، الدهبي ، فضة ، القرش ، حتى المليم وجدنا من يتسمى به ،

وهدا يؤكد ما كان عليه المليم من قيمة وقوة شرائية .. ويياليتها أيام تعود ، ومن منا لا يحلم بعودة عصر المليم وأسعار عصر المليم .. « وعيط لامك .. وهات المليم !! » .

ولأن المصري يحب الزمن وظواهر الطبيعة لهذا تسمى بأسماء : ربيع ، شتا ، مطر ، نسيم .. فإنه أيضا يعشق النور ويرفض الظلام .. لهذا تسمي : مصباح ، نور ، قنديل ، نجف ، الضوي .. ومن منا لم يعش عصر ساندويتشات نجف بالفول والطعمية في شارع رمسيس بعد غمرة !!

ثم لماذا في المدن الساحلية تشتهر أسماء : الصياد . وصيادية . وشبارة . وبلطية ، مرجان ، وقاروصة . وأيضا المراكبي ، والريس ، والنشار ، والنجار ، والفتال ، والحبال ، والمعداوي ، والحمال ؟!هي كلها أسماء وإن كانت ذات رنين إقليمي ، الا أنها تعبر عن كلمات متداولة حيث السمك وضرورات بناء المراكب واحتياجتها .

والمصريون يحبون الزمن : لهذا يآخذون من أيام الأسبوع أسماء مثل : خميس وجمعة .. ويعشقون الشهور الهجرية ولهذا أخذوا منها أسماء : رجب وشعبان ورمضان ومحرم وصفر وربيع .. ويهيمون ببعض الشهور الميلادية فنجد أسماء : يوليو (يوليوس) وأغسطس .

* * *

صدام حسين ∴ وأنا !!

موضوع غرائب الأسماء ــ لطرافته ــ شد كثيرا من الناس . وحمل بريدي كل صباح رسائل عدة تتناول الغريب والطريف منها ، ربما أكثر مما يحمل أي موضوع أو مقال سياسي .. وكلما تعمقت فيه وجدت أسرارا عديدة ، وطرائف أكثر .. ولكنني لا أستطيع أن أنشر كل ما أعرفه حتى لا أسبب حساسيات لأحد ، أو حرجا .. خصوصا في محاولاتي الأولية لتفسير معاني هذا الاسم ، أو ذاك ..

ولكنني عندما كتبت كنت أريد أن أذكر بعض الأمثلة فقط وعلى سبيل الطرافة .. ولكن يبدو أن القراء يفضلون هذا اللون ، ربما ليعرفوا معاني أسماء تعيش بينهم ، وربما هروبا من قسوة الحياة السياسية والمعيشية التي يحيونها ..

ومن بين الرسائل ، رسالتان إحداهما من المحلة الكبرى ــ قلب الدلتا ــ والثانية من أسيوط ــ قلب الصعيد . في الأولى يتحدث محمد نشأت الشريف ، وواضح أنه أستاذ للغة العربية ، وضليع فيها . عن غرائب عديدة لأسماء أصبحت شائعة ومشهورة في المحلة الكبرى وما حولها من قرى ــ وسأعود لها بالتأكيد ، إلا أنه ختم رسالته بسؤال طريف يقول فيه : « لكن يتبقى السؤال الكبير والطريف في

آن واحد ، وهو : ما هي طرابيل هذه التي أضيفت إليها ياء النسب في اسمكم ؟ ثم كيف صرتم طرابيليا ؟!! وفي الرسالة الثانية يناقش محمود محمد مهران المحامي بأسيوط حكاية جمع الجمع ويرى أن جمع أهرام بأهرامات صح وأنها على وزن بيت وبيوت وبيوتات ، ويرى أن سر تسمية محمدين وعوضين دون الاكتفاء بمحمد واحد أو عوض واحد أن هذا ربما يكون راجعا للتفخيم ، فصاحب الاسم لا يعدل رجلا واحدا ، بل يعدل اثنين .. ثم يختم رسالته بسؤال يرجو إجابته وهو ما معنى « الطرابيلي » ..

وفي البداية أعترف بأنني لم أعرف معنى اسمي إلا وأنا أعمل في أبي ظبي في بداية السبعينيات ! وقبلها كنت أعتقد أن الأسرة قد جاءت إلى مصر إما من طرابلس الشرق ـــ لبنان ـــ وإما من طرابلس الغرب ـــ ليبيا ـــ أي أن الاسم كان « طرابلسي » ثم امتد إليه التغيير إلى طرابيلي ، ولكنني كنت أستبعد ذلك . ثم وأثناء تعمقي في دراسة سيناء وكل ما يتعلق بتلك الأرض الغالية عرفت أن قبائل « الترابين » أو الطرابين تستوطن وسط سيناء ، وأنها قبيلة لها بطون في شمال الجزيرة العربية ، وفي الأردن وفلسطين ، واعتقدت أن الجد الأكبر لنا ربما كان « أخنف » فأصبحت « الطرابيني » تنطق « الطرابيلي » وهذه قاعدة نالت من كل أسمائنا ..

وفي أبي ظبي ـــ وهي ميناء ساحلي على الخليج العربي عرفت الأصل الصحيح !! عندما قرأت إعلانا في صحيفة « الاتحاد » التي

كنت أعمل بها عن محل مستعد لبيع « الطرابيل » فأسرعت إليه لأعرف حقيقة ماذا يبيع !! واكتشفت أصل الاسم .. فالطرابيل جمع طربال . وهو قماش سميك تغطى به المواد الغذائية في الموانئ بالذات ، ليحميها من المطر والرطوبة وعوامل التعرية .. وبذلك يكون الطرابيلي هو صانع الطرابيل على وزن الطرابيشي . وليس غريبا أن كل فروع الأسرة تعمل ــ حتى الآن ــ في البحر وفي موانئ دمياط وبورسعيد والسويس . هل استرحت يا أخ نشأت ويا أخ مهران .. وبالمناسبة إذا كان الأسم الأول « نشأت » تركيا عثمانيا .. فما معنى مهران ؟! فالشيء بالشيء يذكر !!

ومع بداية أزمة الخليج العربي واكتساح القوات العراقية الغاشمة دولة الكويت واضطرار الآلاف من المقيمين في الكويت والعراق إلى الرحيل بعيدًا عنهما طلبًا للأمن والأمان ، أصبحت بوابة الخروج أو الهروب الكبير هي عند الحدود العراقية ــ الأردنية وهي نقطة يقال لها « طرابيل » وهي آخر نقطة عراقية بعد مدينة حديثة .. وشهدت هذه النقطة أعمالا استفزازية ضد المصريين الذين يعبرونها طلبًا للسلامة ولهذا وتبعًا لدعاوى « الحقوق التاريخية » التي حاول صدام حسين الاستناد إليها في غزوه الكويت .. فإنني أعلن هنا أن منطقة « طرابيل » العراقية هذه هي موطن أجدادي وأطالب بضمها إلى ممتلكات الأسرة وإلا فسوف أزحف إليها بقوات عائلة الطرابيلي لغزوها واحتلالها .. وعلى صدام حسين أن يلجأ لمجلس الأمن !!

ونعود إلى مسلسل الغرائب ، فنقول إن هناك كثيرا من الأسماء المتضادة ، وربما لأننا شعب الغرائب في السلوك والعادات .. ولهذا نجد : النور والعتمة . المر والحلو . الحادق والسكري . نجف ولمبة . وليس غريبا أن نجد من يهوى الجمع بين الصفات والمزايا فنجد « محاسن » « الحلو » ورغم جمال الاسمين إلا أن صاحبته تهوى وتحترف مصارعة الوحوش ، وفي مقدمتها الأسود والنمور ، وكان « الوحش » أولى بهذه المهنة ليصبح اسما على مسمى ، الا إذا كنا نعتبر كرة القدم أو تدريب لاعبيها نوعا من إعداد وحوش هذه الرياضة الشعبية في كل أرجاء العالم !! كما لم يكن غريبا أن يجتمع في فصل دراسي واحد : الشحات والغلبان !! ومن دمياط : قصير الديل والطويل . والأهتم وأبو سنان .

ثم .. هل يدلني أحد على سر عشق المصريين للحبوب ؛ هل لأنها رمز الخير ، حتى أن المصري إذا لمحت عيناه لقمة خبز على الأرض انحنى عليها وحملها ثم قبلها من الوجهين ووضعها في فمه .. وفي أسوإ الظروف وضعها بجوار الحائط حتى لا تدوسها الأقدام .. تقديسا للنعمة واحتراما لها !! بل كان أول ما يحرص عليه أهل الفرعون عند دفنه أن يضعوا معه في أوعية خاصة كميات من القمح والحبوب الأخرى لاستخدامها بعد أن يبعث حيًا حتى إن كاتبًا مسرحيًا مشهورًا هو علي سالم تخيل أن المصريين من كثرة القمح الذي دفن مع موتاهم يكونون قد تركوا ثروة كبيرة من القمح فكتب

روايته « بير القمح » . ربما كان هذا صحيحا .. ولهذا نجد أسماء : البذرة ، حبة ، عدس ، سمسم ، قمحاوي ، قمحة ، خروبة ، بندق ، كمون ، برسيم ، سميسم ، قتة ، لوزة ، و .. درة

ولماذا أحب المصري أسماء السلطة : هل تزلفا لصاحب الكرسي ؟ حتى ولو كان شرطيا ، ولهذا وجدنا أسماء : الأمير . البرنس . سلطان . باشا . البيه . أبو البيه . الشريف . نبيل . الوزير . الأفندي ... بل والخليفة . تماما كما وجدنا أسماء : المقدم . البكباشي . النقيب . [وإن كان أسما تركيا مملوكيا] ثم تنزل الرتب إلى الجاويش والعسكري والجندي ، وربما لأن العسكري كانت مهنته ذات مهابة ، وذات سلطة وصولجان . وبحكم خوف المصري من العسكري أو الجندي وما لاقاه منه من بطش لأنه كان « سوط » الحاكم ويد البطش ، وجدنا أسماء : العسكري والجندي .

ولأن المصري ابن أرضه .. فقد عشق كل ما يخرج منها ، فأطلق على أولاده أسماء : زهرة . ياسمين . القرنفلي . وردة . البستاني .. ثم الورداني ، وإن كان عمنا إبراهيم الكاتب الكبير سيقول إنه من قرية وردان .. ومن أسماء الحرف نجد وحدة غريبة في أسماء .. الغنام ، الجمال ، الهجان ، البقري . السيسي . الديك . والفرارجي .

* * *

السرجاني .. والزيات

ما زال مسلسل غرائب الأسماء مستمرا . رسائل من معظم مدن مصر وقراها تحمل نماذج عديدة ، وجديدة في الوقت نفسه . ولكن الكثير من هذه الأسماء ذات حساسية خاصة ، لذلك نفضل عدم نشرها أو الخوض فيها ، لعل أقلها أن بعض العائلات تحمل أسماء نسائية . وليس هذا بجديد ، بل هي عادة عربية قديمة ، فقد كان العرب قديما ينسبون الأبناء إلى أمهاتهم ، وما زالت تلك الأسماء شائعة ليس فقط في مصر ، بل في كل الدول العربية على السواء . وسوف نعود إلى رسائل القراء في حلقة خاصة ، ننشر ما فيها من غرائب ، على مسئولية مرسليها !! ونواصل الغرائب التالية .. مثلا أحب المصريون الأسماء التي تجلب السعد ، وهي من السعادة .. لذلك نجد : سعد . سعيد . مسعد . السعيد . السعداوي . أسعد . حتى وجدنا أسعد الأسعد وهو الأمين العام بالنيابة لجامعة الدول العربية والذي أشرف على نقل الأمانة من مقرها المؤقت في تونس إلى مقرها الدائم في القاهرة . وهو من أبناء جنوب لبنان . وكأنه بهذا الاسم يريد أن يجمع بين السعادتين فكان أسعد .. ثم الأسعد !! ومن أسماء التأنيث : سعدية . سعيدة . سعاد . سعادة . وكل هذه الأسماء لا علاقة لها بالسعد وشركات

التوظيف . وفي العائلة تجد من يسمي بناته أسماء براقة ذات معان رقيقة مثل : زاهية . جميلة . زكية . لطيفة . حميدة . أما الأخت الأولى فكانت انعكاسا لعشق آل البيت فجاءت فاطمة ، وكلهن أسماء لأخوات من أسرة واحدة ولأب واحد من أسرة موجودة !! أما الأم فكان اسمها : حبيبة . فهل كانت هذه الأسماء الرقيقة مقصودة .. أم جاءت رمية من غير رام ؟!

ثم هل من الغريب أن تكون عائلة البسيوني من أكبر عائلات دمياط ــ وقد جاءت من بسيون غربية ــ بينما عائلة الدمياطي من أكبر عائلات بسيون . وكيف يكون السنباطي ــ أشهر موسيقار شرقي ــ من مواليد دمياط ، بينما سنباط قرية من أعمال الدقهلية !

وأن تستقر عائلة الأسواني بالقاهرة فهذا سبب نسبتها للتعريف بها . وأن تستقر عائلة الأسكندراني بالقاهرة فهذا مسموح به لنفس القاعدة ، أما أن نجد عائلة المحلاوي قد استقرت بالمحلة الكبرى فهذا لا مبرر له . إذ لماذا كان الاسم أصلًا .. اللهم الا إذا كانت الأسرة من محلة دمنة .

وبجانب ذلك نجد أسماء لعائلات تحمل صفات أو مهنا انقرضت ، أو انتهى عصرها مثل السرجاني وهي من « السرجة » حيث كانت تعصر الزيوت وبالذات السيرج ، أي زيت السمسم . وهو غير الفرنساوي أي زيت بذرة القطن ، والزيت الحار المستخرج من بذور الكتان . والزيت الطيب من الزيتون . وكذلك : الحمامي وهي مهنة من « أنظف » مهن مصر ، بل من مهن الحضارة .

وكانت القاهرة تفخر بما تضمه من حمامات للغني والفقير ، وهي مهنة انقرضت بالفعل من مصر في العشرينات والثلاثينات ، وكانت مصر تفاخر بها كل دول أوروبا !! والحمامات الشعبية كانت للنساء والرجال وكانت تجري فيها المياه الساخنة . والاستحمام بها كانت له طقوس وتكبيس وتلييف وهي ليست تركية ، بل رومانية ويونانية وإن كانت أكثر انتشارًا في مصر بحكم الشروط الإسلامية للنظافة ، حتى إن البغدادي المؤرخ الشهير تحدث كثيرًا عن حمامات القاهرة . تماما كما انقرضت مهنة صناعة الطرابيش ولكن الأسرة مازالت تحتفظ بالاسم . والطربوش كان لباس رأس تركيا ، وكانت أفضل الطرابيش تصنع في النمسا . وشهدت مصر في الثلاثينات مشروعا قوميا لجمع التبرعات لبناء أول مصنع للطرابيش في مصر ، ضمن حملات الاعتماد على الذات .. ولم يبق من الطربوش إلا ما يستهوي السياح ، والعاملين بالسينما عند إخراج أفلام تاريخية . وربما وجدنا في ريف مصر من لا يزال متمسكًا بالطربوش . وكنا ونحن تلاميذ نجبر على وضعه على الرأس وإلا فلا دخول للمدرسة .. ولا دراسة !! والكحلاوي ، المطرب الشعبي الذي دخل قلوب المصريين وهو صاحب أشهر « عوامة » ، ودخل أكثر في قلوبهم عندما تحول إلى الإنشاد الديني ، ومدح الرسول .. هل جاء اسمه من صانع الكحل الذي كانت تضعه النساء حتى وقت قريب ، وما زال بعض العرب يضعونه .. أم جاء الاسم من جمال العين ، حيث كان يقال : عيونها كحلاوية .. ثم الصباغ والقماش والنساج والغزال والصواف وكلها

كانت مرتبطة بصناعة الغزل والنسيج ، و « كانت » من أعظم صناعات مصر في كل عهودها : الفرعونية . اليونانية . الرومانية . القبطية . الإسلامية . وكانت « خلع » الخلفاء أفضلها ما كان مصريا ، وكانت الكسوة المصرية للكعبة تنافس اليمانية . وظلت الكسوة المصرية لقرون عديدة تنال التكريم وكان أفضل رداء ما صنع في تنيس وكانت مدينة عظيمة في وسط بحيرة المنزلة . وكان حريرها أفضل ما نسج ، خصوصًا خلعة الخلفاء . وقد اندثرت تنيس بفعل زلزال أغرقها في البحيرة ، وما زالت آثارها باقية ، ومدونة في كتب التاريخ .

ومن الأسماء التي انقرضت مهن حامليها : الموازيني . والكيال . والقباني . وإذا كانت مهن الفطايري ــ صانع الفطير ــ والفوال ــ بائع الفول ــ واللبان ــ « بائع اللبن وليس بائع اللبان » والحلواني والكعكي .. إذا كانت هذه الحرف مازالت باقية .. فماذا نقول في حرف انقرضت أو كادت ، ومازالت علما على أصحابها مثل : الخيمي « صانع الخيم » والدهان « بائع الدهن » .. والدهن هنا ليس مقصورًا على دهن الحيوان ، بل هو في الغالب بائع العطور . وفي دول الخليج يطلقون على العطور اسم « الدهن » والعجاتي وهي أغلب الظن العاجاتي ، أي بائع العاج . والشماع أي صانع وبائع الشمع ، فقد دخلت الكهرباء كل بيت ، وامتنع العاج إلا عن الأثرياء !! وكانت تجارة وصناعة العاج من المهن الغالية حيث كان العاج يفد من قلب أفريقيا . وكان يستخدم في تزيين قطع الأثاث

عالية الثمن . وهي مهنة معروفة منذ العصور الفرعونية . وكان البحار المصري حريصًا على جلب العاج من أفريقيا مع ما يجلبه من لبان وبخور وعود .

وفي الفصل القادم أشرح أسرار أسماء تركية وفارسية دخلت تاريخنا لفترة طويلة ، وما زال لها رنين مثل أجزاخانة وسلخانة ودفتر خانة والشفاخانة والأنتيكخانة ، والكتب خانة والمكلمخانة التي اخترعها زميلنا العزيز حازم هاشم .

* * *

أسماء صناعة .. تركية

وفي الجزء الأخير من الفصل السابق تحدثت عن عائلات تحمل أسماء مهن انقرضت ولكنها ما زالت تتمسك بها ، رغم أن البعض قد يجد حرجا في ذلك .. ولكن هذه الأسماء مستمرة ، ومن المؤكد أنها لم تعد مرتبطة بالظروف التي أطلقت فيها على أصحابها : مثلا لا يمكن أن تكون أسرة الشحات تواصل الشحاتة حتى الآن ومثل النشار والقلفاط والحناوي فهل كان فقط بائعا للحناء ــ أفضل وسائل ماكياج زمان ــ أم كان يتولى « تحنية » العرائس والفتيات ، وكان هذا فنا جميلا وما زال شائعا في كثير من الدول الخليجية ، وإن كانت السودانية هي أفضل من برعت في رسم نقوش الحناء على الأيدي والأرجل .. وما زالت جداتنا العواجيز يتذكرن « ليلة الحنة » أي ليلة إعداد العروس للزفاف . وكانت عملية « الحنة » هذه هي أصل عملية المانكير والبيديكير ، وهذا كان غير عمل « البلانة » أي السيدة التي تتولى « حمام العروس » بكل مراحله !!

ورغم أن صناعة العجوة قد انقرضت ــ منزليا ــ تماما إلا أننا ما زلنا نجد عائلة « العجواني » . ومعقول فعّلا أن نجد في دمياط من يتسمى باسم مصطفى عجوة وكامل عجوة ، فدمياط تشتهر

بنخيلها وتنوع بلحها : بنت عيشة وحياني وأمهات وعربية . والعجوة من أبرع ما صنع الدمايطة من البلح . وهم يضيفون إليها الشمر واليسنون والسمسم ليس فقط لزيادة قيمتها الغذائية ، ولكن لما تعطية هذه الحبوب للعجوة من طعم ونكهة مميزة . ومن أفضل الأطباق طبق البيض بالعجوة شتاء .. ورغم دخول الميكنة إلى صناعة الغزل والنسيج ، إلا أن هناك عائلات راسخة عملت كلها في فروع تلك الصناعة فوجدنا : العقاد ومنها عملاق ثقافة العصر عباس العقاد . والقطان والفتال ــ من فتلة ــ والغزال والقماش والنساج .. وأخيرا الصباغ كآخر مرحلة من صنعة الغزل والنسيج . وهنا لا يمكن أن ننسى الصواف سواء بائع الصوف أو صانعه ، أو الكتاتني أي صانع الكتان . وصناعة الملابس الكتان مصرية ــ فرعونية الأصل . وكانت الملابس الكتانية هي الأساس بسبب حرارة الجو في مصر ورطوبته . وأيضا كانت لفائف الكتان هي المادة الأخيرة التي تلف فيها أجساد المصريين كجزء نهائي من عملية التحنيط المعقدة .

ثم تلك الأسماء العريقة التي مازالت ترن في الأذن كلما مرت علينا : صابونجي . في مصر ولبنان ، وهم من المؤكد كانوا من صانعي الصابون حيث اشتهرت فلسطين والشام بصناعة الصابون بسبب كثرة وجودة أشجار الزيتون . ومن أشهر أنواعه ما كان يصنع في نابلس تلك المدينة الفلسطينية التي ترزح الآن تحت نير الاحتلال الإسرائيلي . والطوبجي ، أي المدفعجي . وكان للمدفعجي المصري

شهرة عالمية في الحرب العالمية الثانية وكانت أطقم المدفعية المصرية هي التي مهدت للعبور العظيم يوم السادس من أكتوبر 1973 . وأعادت عهد الطوبجية المصرية أيام محمد علي وفارسه إبراهيم باشا . وبسبب خوفه من طوبجية طوابي الأسكندرية أرسل الجنرال سيمور إنزاره الرهيب للعرابيين .. لتكون بداية احتلال مصر .. وقد انتشرت في مصر « الطوابي » التي كانت تحرس ثغور مصر ومداخلها الإستراتيجية ، ومنها طابية عرابي عند مصب فرع النيل عند دمياط وطابية رشيد .. وطابية أبو قير وطابية المكس . وحرص الإنجليز على تدميرها بعد احتلالهم لمصر 1882 . ثم اسم السلحدار ، وهي عائلة كبيرة فهل كانت الأسرة صانعة للسلاح .. أم حافظة له أي خازن الأسلحة على وزن الخازندار ، ورغم أنه كان من الأسرة أحد كبار مستشاري القضاء المصري .. وقد أرسل لي أحد أفراد أسرة السلحدار محتجًا وقائلا إن جد الأسرة كان بمثابة وزير الدفاع لأنه كان المسئول عن توفير وتخزين وإعداد أسلحة الجيوش في العصر التركي . ثم أسماء : الوراقي أي صانع وبائع الورق . والشربتلي : صانع الشربات . والسقا والإسكافي . أما السروجي فمازالت موجودة كمهنة وإن تحولت إلى تجهيز وتنجيد فرش السيارات ..بعد أن كانت تجهيز وإعداد سروج الخيول والحمير في عصور الفروسية ، ومنهم من برع في صنع سروج القادة والخلفاء والسلاطين والقواس صانع الأقواس جمع قوس .. وإذا كانت الحبشة نفسها قد غيرت اسمها إلى إثيوبيا .. فقد ظلت عندنا أسرة الحبشي ، والسؤال الآن : هل

يذكر أحد أفراد هذه الأسرة كلمة واحدة من الأمهرية وهي لغة الأحباش القدامى والمحدثين ؟! ثم هل يصدق أحد أن التقسيم الديني لجزيرة قبرص امتد إلى الأسماء .. فنجد القبرصلي « عائلة مسلمة في دمياط » وعائلة قبرصلي المسيحية في لبنان !! تماما كما نجد بيننا من جاء من جزيرة مالطة التي حكمها المسلمون لقرون عدة .. فنجد عائلة مالطي .. وملطي وفي جزيرة مالطة تمركز « فرسان الصليب » الذين كانوا من أشجع الفرسان الصليبيين . وبعد انتهاء هذه الحروب استقروا في قبرص حتى طردهم المماليك فاختاروا مالطة مقرًا وما زالوا حتى الآن يحكمونها . أما عائلة كشميري فمن المؤكد أن جدها الأكبر جاء من مقاطعة أو ولاية كشمير الإسلامية التي تتنازعها الهند وباكستان حتى الآن .. أما الهندي فمن المؤكد أيضا أنه كان تاجرا استحب المقام في مصر . تماما كما جاء الزناتي من مدينة زناتة التونسية . والعسقلاني من ميناء عسقلان الفلسطيني ، أو عسقلون كما كانت تنطق قديما .. أما عائلة ميتيكس فتعود أصولها إلى العصر المملوكي ، وقد شرح أصلها صديقنا الكاتب الصحفي جمال بدوي رئيس تحرير « الوفد » في زاويته القديمة « كان وأخواتها » .. أيضا من الأسماء حاملة المهن المنقرضة ما زلنا نجد أسماء : الحجار . الفحام وكانت تجارة الفحم من أربح المهن . وكانت له موانيه وأرصفته الخاصة . وقد وجدنا من أسرة الفحام من كان من كبار العلماء بل منهم من نال شرف شياخة الأزهر العظيم . الطباخ . وإن توقفت عائلة البنا عن العمل في مهنة المعمار . والنقاش وتركت صنعة النقاشة

وأصبحت عائلة يكثر فيها الكتاب والأدباء والصحفيون .. ثم عائلة السحار والسحرتي ، وقد انقرضت مهنة السحر وانقضى عهد السحرة وإن ترك لنا عبد الحميد جودة « السحار » أعمالًا روائية عظيمة إسلامية المنبع عظيمة الأثر . كما أسس مع أسرته دارًا للنشر مازالت تخرج للعرب كنوزًا ثرية .

وإذا كان السرجاني قد أصبح جواهرجيا ، والصايغ أصبح طبيبا ، والزيات وزيرا فلماذا نستغرب أن يصبح النحاس جواهرجيا ، والساعاتي أستاذا لعلم الاجتماع ، والسروجي مطربا ، ورأفت « الخياط » كاتبا صحفيا وصاحب عمود مشهور !!

وكنت قد وعدت في نهاية الفصل الماضي بالحديث عن كلمات ومهن دخلت قاموس الأسماء المصرية ، وأصبحت شائعة الاستعمال ، مثل أجزاخانة ، وسلخانة .. وخانة في اللغة الفارسية تعني المكان ، وهي غير « الخان » ومن هنا تكون أجزاخانة هي مكان صناعة أو بيع « الأجزة » أي الدواء . وكان يصنع بالكامل وفق قوانين الدواء العربية المصرية الشعبية ويقول البعض إن « الأجزا » هي الأجزاء الصغيرة التي بتجميعها نصنع الدواء . وهكذا تكون « السلخانة » هي مكان « السلخ » بعد الذبح ، أي المذبح . وكذلك أنتيكخانة . فكلمة « أنتيك » تعني القديم ، أو الأثري . فالكلمة هنا تعني مكان الآثار ، « أي دار الآثار » .

وإذا كانت هذه الكلمات قد اندثرت أو كادت فإن هناك أسماء انتهت تقريبا مثل : كتبخانة ، أي دار الكتب . وأدبخانة أي دورة

المياه . وكان يمكن أن تكتب : أدب خانة ، وشفخانة أي دار رعاية وعلاج الحيوانات وبالمعنى العصري مستشفى الطب البيطري ، ودفتر خانة أي دار الوثائق ، أو دار المحفوظات . ولأننا لا نجد حرجا في العلم ، ولأن الشيء بالشيء يذكر فلا يمكن أن ننسى « كرخانة » أي حيث مكان مزاولة مهنة الدعارة ، وكانت مهنة مرخصة ومسموحا بها حتى نهاية الأربعينات ..

*   *   *

ملوك مصر .. وحرف الفاء

في قاموس الأسماء المصرية أسماء تركية ، بل وفارسية !! هذا حقيقي ولا يمكن إنكار الوجود التركي في قاموس أسمائنا . وهي كلمات تركية ــ فارسية مشتركة ، بحكم وجود أسماء فارسية عديدة في القاموس التركي ذاته .. ولا أدري لماذا أصبحت هذه الأسماء التركية ــ الفارسية تثير الضحك عند العامة والخاصة على السواء ، كلما أتى ذكرها ، خصوصا في الأعمال الفنية كالأفلام والمسرحيات والمسلسلات . ربما لبراعة الراحلة الفكهة ماري منيب التي كانت خير من جسد شخصية السيدة التركية . ومن منا لا يذكر دورها المبدع في مسرحية « إلا خمسة » وهي آخر سلالة عائلة بخشوان باشا .. وكيف كانت تنطق الكلمات !! وأيضا الفنان الملتزم فؤاد المهندس في مسرحية « أنا فين وأنت فين » وحواره مع سليلة عائلة « البيراقدار كاف » و« أبوها » كائد الطابية !!

ومن الأسماء التركية التي مازلنا نكن لها الاحترام ومازالت الأسر محافظة عليها عائلات : الأزميرلي « ينسب إلى ميناء أزمير جنوب تركيا » والسلانكلي ومنها علي السلانكلي محافظ رشيد الذي قاد المقاومة الشعبية المصرية ضد الحملة الإنجليزية بقيادة فريزر 1807 . ولهذه الأسرة عزبة تحمل اسمها حتى الآن في محافظة

البحيرة . ومن المرجح أن أصل الأسرة من مدينة سالونيك وهي مدينة يونانية الآن ، وإن كانت تركية الأصل أو حكمتها تركيا العثمانية سنوات عدة أيام العز العثماني الذي حكم نصف أوروبا . وهناك الدرمللي والأرناءوطي . وكانت فرقة فدائية من الجيش التركي .. والأناضولي نسبته لشبه جزيرة الأناضول التي هي مركز الدولة التركية . ولا يمكن أن ننسى عائلة « الإسلامبولي » وأصل الكلمة الإستانبولي . وبالمناسبة يجب أن يعرف الناس أن أصل تسمية مدينة إستانبول ــ وهي عاصمة تركيا ومقر الخلافة العثمانية ــ أصل هذه التسمية هي إسلامبول .. أي أرض الإسلام ثم تحورت إلى إستانبول . وقد قامت هذه المدينة الإسلامية على مدينة القسطنطينية التي بناها الإمبراطور قسطنطين بعد أن قرر تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين . الأول غربي عاصمته روما سرعان ما سقط تحت ضربات قبائل الجرمان والغال . والثاني شرقي أنشأ القسطنطينية لتكون عاصمة له .. وهي التي بقيت حتى سقطت على أيدي محمد الفاتح العثماني ..

ومن الأسماء التركية ــ الفارسية للذكور : شاهبور . عجمي . نيازي . شوكت . ومن النساء : جيهان . ماهيتاب . نازك . شريهان . شرين . وهناك أسماء تركية ــ فارسية تصلح للرجال والنساء على السواء مثل : عفت . حكمت . حشمت . عصمت . إحسان ..

ويستمر مسلسل الكلمات الأعجمية في حياتنا .. ومازال معظمه موجودا في مفردات اللغة العربية ــ المصرية ، بحكم الاحتلال التركي العثماني الذي خيم على مصر حوالي أربعة قرون (1517 ــ 1914) وهنا يجب أن أذكر أن بعضها له أصول فارسية ؛ مثلا هناك كلمات عسكرية مثل الرتب : يوزباشي « نقيب » . وبكباشي « مقدم » . وواضح نصفها الثاني وهو باش أو باشي .. وأيضا أونباشي « عريف » . ثم قائم مقام وكانت تكتب قائمقام أي من يحل محل القائد .. أو أميرالاي أي قائد الألاي ، والألاي وحدة من الجيش ثم حكمدار .. أي حاكم دار وأصبحت تعني رجل البوليس الأول في المنطقة .. وأنطلاقا من كلمة « باش » أي رئيس مازلنا نقول : باشمهندس وباشتمرجي وباشكاتب . وباشجاويش .. وأيضا حكيمباشي أي رئيس الأطباء ، وكنا نطلق على الطبيب اسم الحكيم ، وكم هي صفة جميلة .

ثم هناك « صرعة » توحيد أوائل الأسماء ، ذكورا وإناثا .. وربما كان أكثرها وضوحا في أسماء العائلة الملكية السابقة التي حكمت مصر بين عامي 1805 و 1952 . فقد أصر الملك فؤاد الأول على أن يحمل أولاده اسماء تبدأ بحرف الفاء فكان فاروق الذي خلفه على العرش . ثم فوزية وفايزة وفتحية وفايقة .. وعلى نفس النهج سار ابنه فاروق عندما تولى الملك .. حتى أنه عندما تزوج من ابنة الشعب صافيناز ذو الفقار اختار لها اسم « فريدة » .. وكانت ملكة فريدة فعلا .

وأطلق على أولاده اسماء فريال . فادية . وفوقية . وعندما رزقه الله بالولد .. سماه أحمد فؤاد وهو آخر ملوك مصر الذي لم ينعم بالملك فقد تنازل له أبوه عن العرش يوم 26 يوليو 1952 . وأعلنت مصر جمهورية يوم 18 يونيو 1954 لينتهي عصر أسرة محمد علي . وعندما تزوج أحمد فؤاد الثاني غير اسم زوجته وأطلق عليها اسم فضيلة .. أي بحرف الفاء أيضا رغم أنها ليست مصرية . وعندما قاربت زوجته الحامل هذه على الوضع طار بها إلى مصر لتلد في نفس المستشفى الذي ولد فيه أحمد فؤاد الثاني نفسه في حي الدقي !!

ومن أسماء الغرائب أسماء مازالت ترن في آذاننا .

فهل عائلة الجمسي من « جمسة » الموقع البترولي على البحر الأحمر ، وتنطق بكسر الجيم ، أم من جمصة المصيف الذي كان دمياطيا على البحر الأبيض فنزعوه ليصبح دقهلاويا . وبالمناسبة هل الفيشاوي صاحب مقهى الحسين الشهير وفاروق الفنان الشاب .. هل هما من قرية فيشا المشهورة بأعنابها وخوخها على طريق بنها – دمياط .. تماما كما نعرف أن محمد الدفراوي من قرية دفرة .. ونبيل الحلفاوي من وادي حلفا عند آخر نقطة معمورة على حدودنا مع الشقيقة السودان !!

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن قاموس الأسماء المصرية مشهور بأسماء : أبو شنب . أبو دراع . أبو كف . أبو الروس . أبو راس . أبو رجيلة . أبو حطب . أبو العيون . أبو العنين .

وهناك عائلة في قرية بهرمس مركز إمبابة ، يقول المهندس الوفدي

محمد أبو حسين إنها تسمي أولادها أسماء غريبة لأنها تعتقد في الحسد . فمن أسماء أبنائهم : جرادة . نكاش . فكيه . سامبو . جردل . شوال . خيشة . جعران . زكيبة . زنجر . على أمل أن يتلهى الحاسد بالاسم ، فلا يحسد المطلوب !! وبالمناسبة يتساءل المهندس الوفدي : ما معنى : مكوجي . وعربجي . وقهوجي . وجزمجي . ومطبعجي . وقانونجي . وكبابجي . وأقول له بعد أن شرحت في الأسبوع الماضي كلمات مثل : أجزاخانة .. أن « جي » لفظ نسب يلحق بالمهنة ، وهو أيضا تركي الأصل .. أما باقي الكلمة فمعروف ..

* * *

موجات الهجرة عبر القارات

الجذور التركية في قاموس الأسماء المصرية لا يمكن تجاهلها .. إذ لا يمكن محو آثار 400 سنة استمر فيها الحكم التركي لمصر بجرة قلم .. حقيقة شهدت مصر في هذه القرون الأربعة مئات سوداء ، من السنين ، عانى منها الشعب فقرا ونهبا ، تخلفا وقهرا .. ولكن المؤثرات الاجتماعية التركية مازالت باقية ، وهي أكثر ما تظهر في السلوكيات .. والمسميات .. ربما بحكم أن المصري من أكثر شعوب الأرض تدينا ، وبالتالي كان ينظر إلى الحكم التركي العثماني على أساس أنه حامي الإسلام وراعي المسلمين ، ولم لا وفيها الخليفة أمير المؤمنين وحامي الحرمين الشريفين .. ولا ضير إذن من بعض الأسماء والسلوكيات التركية .. فقليل منها يصلح معدة المصري !!

ولأن الشيء بالشيء يذكر ، فإن مشكلة الصراع الدائر الآن حول مياه نهر الفرات بين تركيا من جانب وسوريا والعراق من جانب آخر كشفت لنا أصول بعض الأسماء التي مازالت حية بيننا .. ذلك أن تركيا تنفذ مشروعا هائلا لتطوير منطقة جنوب الأناضول لري وزراعة مناطق تعاني الآن من الجفاف ، ومنها منطقتا « أورفة » و« ماردين » وإذا كانت عائلة « الأورفللي » أو « أورفلي » نعرفها

تركية خالصة .. إلا أننا كنا نعتقد أن عائلة مارديني هي عائلة سورية ، وبالذات من شمال سوريا .. إلى أن اكتشفنا أن أصلها يعود إلى منطقة « ماردين » جنوب شرق تركيا . وهي أسرة تخصصت وبرعت في صناعة أقمشة التنجيد والستائر والمفروشات ، و هاجرت إلى مصر منذ القرن الماضي ..

وكثيرا ما نجد الاتصال الأسري بين مصر والشام .. بحكم الهجرات الكبيرة التي وفدت إلى مصر ، خصوصا في سنوات القهر العثماني على يد السفاح التركي جمال باشا .. فمن استطاع الفرار لجأ إلى مصر واحة الأمن والأمان في المنطقة . خصوصا منذ النصف الثاني من القرن الماضي ، مع النهضة والتحرر النسبيين اللذين عاشتهما مصر قبيل الاحتلال الإنجليزي .. ولهذا نجد في الشام أصول عائلات العلايلي واللوزي والقبرصلي والأصيلي والصيقلي وخضرا ... ونجد فروعا لهذه الأسر في مصر . وبالذات في دمياط التي كانت ميناء مصر الأول ، حتى فتح قناة السويس وتطوير ميناء الإسكندرية .. مثلا في لبنان نجد الشيخ عبد الله العلايلي وهو من كبار رجال الدين والعلم وهو عميد أسرة لها باع طويل في السياسة والحكم في لبنان .. بينما نجد فرعا كبيرا للأسرة في دمياط ... وعائلة العلايلي فيها من العائلات الكبيرة الغنية ... ومنها والدة الكاتب الصحفي الكبير جلال الدين الحمامصي ... وكانت للأسرة في دمياط مواكب « وسيارات دينية » عند الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ..

وأيضا عائلة اللوزي . وهي لبنانية شامية الأصل . فمصر لا تزرع اللوز . الا إذا كان المقصود هو « لوز » دودة الحرير « دودة القز » ذلك أن عائلة اللوزي هي التي أدخلت صناعة الحرير الطبيعي إلى مصر في أواخر القرن الماضي .. ثم طور عبد الفتاح اللوزي بك مصانع الأسرة بدمياط وأدخل الأنوال الميكانيكية الحديثة بدلا من الأنوال الخشبية عام 1925 ؛ ليغزو الحرير الطبيعي المصري أسواق أوروبا . ومن نفس الأسرة سليم اللوزي رئيس تحرير وصاحب مجلة « الحوادث » اللبنانية الشهيرة التي نجح في تحويلها من مجلة لا تقرأ إلى أكبر مجلة سياسية عربية ... حتى تخلص منه أعداؤه بطريقة بشعة وأذابوا أطرافه بالأحماض حيا ، وألقوه في أحراش عرمون حيث مأوى الذئاب .. وهناك أيضا عائلة « خضرا » ومركزها مدينة صيدا بجنوب لبنان وفرعها أيضا في دمياط واشتهرت بتجارة الحبوب والزيوت والياميش . والغريب أن بعضها أصبح مصريا يجند بالجيش المصري .. والبعض ما زال محتفظا بجنسيته اللبنانية !! وفي أبي ظبي وجدت في سوقها الأبيض فرعا ثالثا لعائلة خضرا ... وهكذا الشوام واللبنانيون إذ ربما للأسرة فروع في الأرجنتين فهم شعب ترحال ويقال إن عدد اللبنانيين خارج لبنان أكثر من عددهم داخل لبنان . كما أن من السوريين من هاجر إلى الأرجنتين حتى إن الرئيس الحالي كارلوس منعم .. سوري الأصل هو وزوجته !!

وانطلاقا أيضا من الروابط القديمة بين مصر وتركيا نجد أن

المصريين عشقوا الأسماء المركبة التركية .. فنجد : أحمد كمال الدين ـــ وهو الاسم الأول فقط ـــ دون اسم الأب أو الجد . ونجد أحمد المعتصم بالله وهذا اسمه وحده ، وهو موظف كبير في أحد المجالس التشريعية .. ولأن للمصريين عشقا خاصا بالزعماء نجد أن الأسماء ارتبطت مرحليا بكل زعيم . ففي العصر التركي أو عصر الثورة ضد تخلف الخلافة نجد أسماء : مصطفى . كمال . عصمت . إينونو . حكمت . شوكت .. ومع نزعات التحرر المصرية نجد المصريين قد أطلقوا على أولادهم أسماء الزعماء الشعبيين : مصطفى كامل . محمد فريد . سعد زغلول . مصطفى النحاس . ومحمد نجيب ، وانبهر البعض باسم عبد الناصر فأطلقوه على أسماء أولادهم ..

وإذا كان الضباط الأتراك قد أطلقوا على زميلهم الشاب « عزيز علي » اسم المصري ليعرفوه عن غيره ، وكان شابا ثوريا يخدم بالجيش التركي ، وانضم إلى الجمعيات السرية هناك مثل تركيا الفتاة .. والعهد .. إلا أنه سرعان ما عاد لأصله العربي فعمل بنشاط في الجمعيات السرية التحريرية التي وجدت تربة خصبة هناك ، حتى عاد إلى مصر ليكون في مقدمة العاملين على تطوير مصر .. وللمصري « وهو ليس من عائلة الفريق » الآن وجود كبير في الشقيقة الأردن ومنها رئيس مجلس النواب الحالي . وهي من أكبر عائلات القدس السليبة .. وإذا كان « المصري » رئيسا لمجلس النواب الأردني .. فلا عجب أن يصبح يسري « الشامي » محافظا للشرقية ، رغم أنه من أسرة دمياطية معروفة !!

ولأن للأزهر دوره الريادي ـــ الديني والسياسي ـــ فقد كان الدارسون فيه يفخرون بالانتساب له .. وكثير من هؤلاء الدارسين حملوا الاسم تفاخرا ، فقد كانت الدراسة به مما يتفاخر به الناس ؛ ولهذا وجدنا عائلات الأزهري ، ومنهم كتاب كبار .. ومنهم الساسة حتى في السودان الشقيق ولا يمكن أن ننسى السياسي الراحل إسماعيل الأزهري أحد مؤسسي الحزب الوطني الاتحادي ، وأحد الذين حملوا راية الاتحاد بين شطري الوادي : مصر والسودان . وكان رئيسا لوزراء السودان وعلى يديه اختار السودان الاستقلال عن مصر . رغم أنه خاض الانتخابات على مبادئ الاتحاد مع مصر .. ولكنه ـــ ومعه أقطاب السودان ـــ فضلوا طريق الاستقلال بعد الذي شاهدوه من حكم العسكر في مصر بين توقيع اتفاقية السودان في 12 فبراير 1953 وحتى أعلنوا الاستقلال في أول يناير 1956 ..

وإذا كان « الخطيب » قد أصبح أشهر لاعب كرة بينما « أبو لحمة » حكما لهذه الكرة .. فنحن نسأل : من أين جاءت نجمة المسرح اللامعة سهير البابلي .. وهل أصل الأسرة بابلي أم أشوري ؟! أقصد من مدينة بابل العراقية التاريخية ذات القصور والأبراج .. والحدائق المعلقة التي كانت إحدى عجائب العالم القديم !!

ولن نمل الحديث عن غرائب الأسماء !!

التأثير العثماني يكسب !

كنت أود أن أكتب عن غرائب المحجوب ومجلسه الذي لا يحضره أحد ـــ ومن لا يصدق عليه بمشاهدة التليفزيون ـــ وإذا كان هجومي على « مجلس الغائبين » سوف يستنزل عليّ لعنات « عم جنجح » الشخصية الفكاهية التي ابتدعها الثنائي الكبير أحمد رجب ومصطفى حسين ، أقول كنت أود أن أكتب عن غرائب هذا المجلس ولكن لأن الناس تعودت على غرائب مجلس الصامتين ومجلس المصفقين ، ومجلس النائمين .. فضلت أن أواصل حديثي عن غرائب الأسماء فربما يسري هذا عن الناس ، ويخفف الغم الذي يعيشونه مع كل إشراقة شمس ..

وإذا كان الشق الخاص بأصول الأسماء التركية في معجم الأسماء المصرية قد شد الناس .. لذلك أبدأ بالحديث عنه اليوم .. وقد قال قائل لي إن لفظ يوزباشي تركي الأصل ، ونسي أصله الفارسي وأن « أجرومية » اللغة التركية تحوي الكثير من الكلمات الفارسية ، ليس فقط في تركيا ، ولكن أيضا في أفغانستان وأوزبكستان وباكستان .. وإذا كان الأميرالاي هو قائد وحدة « الألاي » .. ويعد أمير اللواء .. فإن « يوز » يعني المائة .. أي أن اليوزباشي هو الضابط الذي يقود الوحدة العسكرية المؤلفة من مائة عسكري ..

وعن أصول بعض الأسماء التركية نقول إن هذه الأسماء عربية الأصل وليست تركية ، ولكننا للأسف نسبناها إلى الأتراك وفي اللغة الفارسية ، والأتراك من بعد الفرس يكتبون التاء المربوطة بالتاء المفتوحة ـــ ومثلهم أيضا الأخوة في باكستان ـــ لهذا يكتبون « شركت » بدلا من شركة .. وكانو يعتزون بالأسماء العربية ذات المعاني النبيلة فيستخدمون أسماء صفوة ـــ عزة ـــ بهجة ـــ عفة ـــ عصمة ـــ رأفة ـــ هداية ـــ .. إلخ .

حسب هذه القاعدة حيث تكتب بالتاء المفتوحة وجدنا هذه الأسماء تحولت إلى صفوت ، عزت ، بهجت ، عفت ، عصمت ، رأفت ، هدايت إلخ .

ونظرا للتأثير الثقافي العثماني علينا بسبب تبعيتنا للدولة العثمانية لعدة قرون ، فقد اقتبسنا هذه الأسماء كما هي بهجائها ونطقها ، دون تصحيحها إلى أسماء عربية صحيحة ، وهذا خطأ لغوي ، إذا لا توجد كلمة في العربية باسم صفوت ، بل الصحيح صفوة ، وهكذا ..

وإلى الدمياطي المخضرم المغترب الذي رفض ذكر اسمه أقول إنني تناولت في الفصل السابق أصول أسماء نعتز بها مثل العلايلي واللوزي . ومن أسماء حارة بُرق وغيط النصارى وباب الحرس أقول إن لهذه فصلا خاصا ضمن غرائب أسماء المدن والقرى المصرية .. ويقول ما معنى الأسماء المنسوبة : الكرارتي . الكرداني . الحاروني . البريشي .العناني . الزلباني . العزوني . العاصي . الفقي . الغالي . الألفي . الأكيابي . الغيطاني . الحزاوي . البرمبالي . البهائي .

الغاياتي . الرمالي . الأصيلي . المزاحي .الماحي . النشوقاتي .. وهذه كلها سوف نعود إليها مع التقسيم النوعي للأسماء .. ولكنه يضيف :

•• أسماء بقصد دفع الحسد مثل : الأطرش . الأطروش . الأخرس . الأعسر . الأشول . الأودن . المجدوب والشايب وأضاف اسما لا أستطيع أن أذكره .

•• أسماء بقصد استدرار العطف مثل : الغلبان والسقعان والغضبان والخادم وسرحان .

•• أسماء من سوق السمك مثل : شبارة . بلطية . طوبار . جرانة . شلباية . البوري . حداية . القرموط . وسمك برغوت وهو الاسم القديم للجمبري .

•• أسماء مضافة إلى « أبو » مثل أبو كرات ، وأبو قورة . وأبو هندية وكان نقيبا للمحامين بدمياط . وأبو حباجة وكان كبيرا لتجارها . وأبو طاقية وأبو ستة وأبو عش وأبو دراع وأبو حلقة وأبو شحم وأبو دوبارة وكان زميلا لي بالمدرسة .

•• وأسماء لا يعرف الناس معنى معظمها مثل : قصير الديل ومنها كان كبار المحامين والتجار . وفشور ويسيطرون على صناعة الحلوى . والماشطة وهم من صناع الحرير والحجر وقتيلو وعطعوط والغول وضلام ..

وأشكر الدمياطي المخضرم المغترب ساكن مصر الجديدة صاحب

هذه الرسالة وصاحب الخط الجميل ، وإن كنت أطمع في أن أعرف اسمه .. فهل يفعل ؟ !

وأضيف إلى الأسماء المضافة لـ « أبو »: أبو الخير وأبو الليف .. وما أستغربه أن يكون للنيل أب وهذا ما نجده في « أبو النيل » مراسل الأهرام في أسوان !! وربما يكون اسم « البهائي » من البهاء أي النضارة . وأستبعد أن يكون منسوبا إلى البهائية وهي فرقة من الخوارج على الدين الإسلامي وأطلب من الإذاعي اللامع « فاروق شوشة » أن يشرح لنا معنى « شوشة » وهو اللغوي الضليع خريج كلية دار العلوم ولماذا يصر على أن ينطق اسمه فاروء بالهمزة وليس بالقاف ..

ومن الأسماء الشهيرة نجد عائلة « الدبسي » .. فهل جدها الأول كان صانعا للدبس ؟ . والدبس هو العسل المأخوذ من البلح بعد اكتمال نضجه وسواده .. ومن عسل الدبس يصنع نوع من الخمور يشتهر به أهل العراق ــ جنوبه بالذات ــ وأهل الشام وهما من أشهر مناطق زراعة النخيل في الوطن العربي ..

وللمصريين غرام بإطلاق صفات خاصة على بعض الأسماء : فيطلقون على « يوسف » أبو حجاج . وعلى « عثمان » أبو عفان ، وعلى « مصطفى » أبو درش ، وعلى « حسن » أبو علي ، وعلى « إبراهيم » أبو خليل ، وعلى « أحمد » أبو حميد ، وعلى « زينب » أم هاشم ، ولكل هذه الأسماء أصول فإبراهيم هو إبراهيم الخليل نبي

الله . وعثمان هو عثمان بن عفان الخليفة الثالث لرسول الله عليه أطيب الصلاة والسلام . وهكذا .

ومن الغرائب نجد : السخاوي .. فهل الأسرة من سخا بكفر الشيخ وهي من أكبر مراكز البحوث الزراعية والحيوانية .. أم أن الاسم جاء من الكرم والسخاء .. وإن كان في هذه الحالة أصله السخائي وتحول إلى السخاوي ..

وبحكم انفتاح مصر على كل العالم الإسلامي نجد أن جزيرة كريت وكانت إسلامية قد جاء منها العائل الأول لأسرة مشهورة هي : الجريتلي .. ومنها كان علماء اقتصاد . والأصل هو الكريتلي ولكن الطريف أن بعض فروع الأسرة يغير التاء إلى دال فيصبح الاسم : الجريدلي .. وإلى جزيرة كريت تنسب الست الكريتلية صاحبة البيت الأثري العتيق في القاهرة المعزية الذي اتخذه الضابط الإنجليزي جاير أندرسون منزلا له ومتحفا جمع فيه ما استطاع من التحف والأثار الإسلامية بعد أن تعمق في الاستشراق وأصبح عاشقا للإسلام وللمصريين .

* * *

هذه النقائض .. من جمعها ؟

غرائب الأسماء المصرية تحوي الكثير من الأسماء المتضادة ، ليس فقط في المدينة الواحدة ، بل في الحي الواحد .. والفصل الدراسي الواحد ، فضلا عن المدرسة الواحدة ، وإذا كان « الشحات » قد جلس بجوار « الغلبان » في فصل واحد ، بل وعلى « دكة » واحدة .. فإنني أذكر ـــ على مدى سنوات دراستي ـــ أن كثيرا من الأسماء المتضادة كانت معي في نفس الفصل مثل :

درغام « الأسد » والفار . الليثي والقط . الغالي والناقص ، الحمامي والماشطة . الديب وتعيلب . عسل وبصل ، الحلو والحادق . الطويل وقصير الديل . والمر والسكري . البحراوي والصعيدي . الشامي والمغربي . العراقي . والتركي . أبو جبل وأبو دوبارة . ضلام وقمر . الفيل والفار . العتمة وأبو النور . اللفات والعسال ، واللفات هو صانع اللفت أي الطرشي أوبائعه ولم يكن يخلو حي من أحياء مصر من هذا اللفات .. أما العسال .. فهو بائع العسل ، وهو في الغالب العسل الأسود المصنوع من قصب السكر . ليل وقمر . فما الذي جمع العسل مع البصل .. وهل جرؤ الفار أن يجلس بجوار القط ، وأن يتعايش الثعلب مع درغام . ومن الذي جمع الشامي على المغربي .. والقمر مع الظلام بل كيف جلس الطويل مع قصير الديل !!

وإذا كان مقبولا وجود « الغزاوي » في دمياط بحكم العلاقات البحرية والتجارية بين ميناء دمياط وموانى الشام وفلسطين ، وغزة في مقدمتها .. فما هو تبرير وجود مسجد للشيخ « الغزناوي » في دمياط . و« غزنة » مدينة إسلامية في بلاد ما وراء النهر ؛ أي شمال شبه القارة الهندية وكانت عاصمة للسلطان محمود الغزنوي وهي الآن ضمن المدن والإمارات الإسلامية جنوب الاتحاد السوفيتي السابق . ولكن لم العجب وقد كانت كلها بلاد المسلمين .. وقد جدد هذا المسجد مرات وهو واقع على مجرى النيل بجوار جمرك دمياط

ولأن الشيء بالشيء يذكر ، ولأن مصر كانت ـــ بحكم موقعها وثروتها ـــ عنصر جذب فإننا نجد في الإسكندرية مثلا مسجدا لأحد أولياء الله هو أبو العباس المرسي وهو أشهر مساجد الثغر . ولكن العامة ينطقون الاسم بضم الراء أي المُرسي .. بينما هو ينسب إلى مدينة « مرسية » بجنوب إسبانيا .

وقد أرسل أحد القراء يسألني ما معنى كلمة بخشونجي ، وهي أسرة مازالت تحمل هذا الاسم .. وأقول إن بخشونجي بالتركية تعني « جنايني » أي البستاني ويسأل أيضا من أين جأت أسرة السويدي ، وهي أسرة كبيرة تعمل بالتجارة .. وأقول غير معقول أن تكون قد أتت من السويد في أقصى شمال غرب أوروبا .. بل تنتمي إلى قبيلة عربية كبيرة هي « السويدان » وهي قبيلة لها فروع وبطون منتشرة في بلاد العرب . وبالذات في دولة الإمارات وقطر والكويت

والسعودية . ومنها الوزراء وفي مقدمتهم أحمد خليفة السويدي وزير خارجية الإمارات السابق والمستشار السياسي الحالي لسمو الشيخ زايد ابن سلطان رئيس دولة الإمارات ، وهو من الشخصيات الهامة التي كان لها دورها البارز في قيام دولة الاتحاد ، وفي مقدمة « الشبان » الذين حملوا هموم العرب وأحلامهم .. كما أن منهم وزراء سابقين في دولة قطر . واللافت للنظر أن الشيخ زايد بن سلطان اكتشف وجود فرع لهذه القبيلة في موريتانيا ، وهذا ليس بغريب بحكم الهجرات العربية التي حطت الرحال واستقرت ـــ بعد طول ترحال ـــ على شاطئ المحيط . وهي القبائل التي أوصلت الثقافة والعادات العربية حتى « صنهاجة » ومنها توغل الإسلام والثقافة العربية إلى السنغال ومالي وشمال نيجيريا . ولا أستبعد أن تكون أسرة السويدي المصرية قد وفدت على مصر من السويداء بشمال سوريا ..

كذلك ما رأيكم في « البربري » وهي أكثر من عائلة .. ومنها أساتذة الجامعات وكبار المسئولين ورؤساء الشركات .. وهم ليسوا بالقطع سود البشرة .. وإن كانت العامة ترى ذلك . والبعض ـــ من قصيري النظر ـــ ينعتون قليلي الفهم بهذا الاسم . والحقيقة التي لا يعرفها إلا قلة أن قبائل البربر هي العنصر الغالب في المغرب والجزائر . بجانب القبائل العربية التي استوطنت هناك مع الفتح الإسلامي بل وهزمته مرارا ، حتى كتب الله لجنده أن يهزموا البربر ليدخلوا في دين الإسلام ، ولكن بعضنا للأسف يستخدم كلمة « البربر » استخداما

مهينا .. فهم يصفون أحيانا الأعمال الوحشية « بالأعمال البربرية » وهذا فهم روماني قديم .. إذ كان الرومان قديما يعتبرون أنفسهم وحدهم المتحضرين .. وما عداهم متوحشين .. بربر . ربما لأن قبائل البربر من بين القبائل التي تصدت لهم كثيرا .. وقد لا يعرف البعض أن بربر المغرب والجزائر لهم لغتهم وغناؤهم وفنونهم ، وما زالت أغاني « الأمازيج » ترن في أذني وأنا أسمعهم وأعشقهم كلما ذهبت إلى المغرب أو الجزائر .. فالفن الأمازيجي والغناء الأمازيجي له طعم خاص . ثم قد لا يعرف الكثيرون أن البربر بيض البشرة .. زرق العيون .. وشعرهم أصفر لامع طويل .. والبربرية غاية في الجمال والرقة .. ولهذا لا يجب إذا أردنا أن نستهجن عملا أن نصفه بعد الآن « بالبربرية » .. وأغلب الظن أن عائلات « البربري » المصرية لها أصول تمتد إلى هذه القبائل في شمال إفريقيا .. تلك القبائل التي كان لها فضل فتح الأندلس وكان منها أشهر الفاتحين طارق بن زياد ، الذي وضع أقدام الإسلام في قارة أوروبا . وهنا لا يمكن أن ننسى بربري مصر الوحيد ــ الفنان الراحل علي الكسار .. الذي كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ولكنه ترك تراثا فنيًّا عظيمًا نافس به معاصره نجيب الريحاني وكان للكسار مسرحه ذائع الصيت في روض الفرج ، ثم في عماد الدين وفيه تألق نجوم ونجوم بزغوا في سماء الفن المصري .

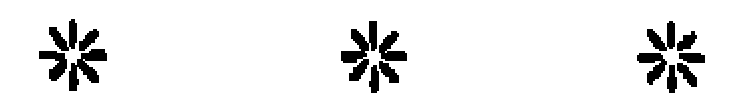
وبحكم أن مصر استقبلت هجرات قبلية عربية ، حتى قبل الإسلام ، فإننا نجد أسماء تعود إلى هذه القبائل ، ليس فقط في صعيد

مصر ، وبالذات جنوب النوبة القديمة ، بل أيضا في دلتا مصر ، أو على الأصح على حوافها حيث الصحراء والبيئة الملائمة لمنابع هذه القبائل .. من هنا نجد قبائل وعائلات الهلالي ، والزناتي وهما من أكبر القبائل ذات التاريخ الممتد بالمشاكل والصراعات حتى أصبحت السيرة الهلالية مصدرا خصبا للأدب الشعبي . وأصبح الصراع بين أبي زيد الهلالي والزناتي خليفة مضرب الأمثال .

وفي رسالة من الدكتور عاطف أبو سليمان المدرس بكلية طب الزقازيق يقول إن من عجائب الأسماء النسب إلى الأولياء والصالحين . فمثلا عندنا ــ يقول الدكتور عاطف ــ في القرية الشيخ الغنيمي رضي الله عنه . فنجد أسماء محمد الغنيمي وطه الغنيمي . ولعل أشهر هؤلاء أستاذنا وشيخنا الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني . فهو الغنيمي نسبة إلى سيدنا الغنيمي ولأنه أيضا شيخ السجادة الغنيمية . وهو تفتازاني نسبة إلى مدينة تفتازان الإيرانية . كذلك نجد إبراهيم الدسوقي نسبة إلى الشيخ الدسوقي . والسيد أحمد أو سيد أحمد وهي كثيرة في الريف نسبة إلى السيد أحمد البدوي ومسجده الشهير في طنطا وسط دلتا مصر وله سيرة شعبية خلال الصراع المصري الصليبي وكيف حارب السيد البدوي وهاجم الصليبيين ودحرهم حتى عاد بالأسرى المصريين الذين كانوا بأيديهم .

ثم أصل « رسلان » وهل هي صيغة من الفعل « رسل » على وزن فعلان أم أنها تحريف لكلمة أرسلان من الفعل أرسل فتكون

صيغة المبالغة « أرسلان » . وأرسلان عائلة في جبل لبنان ، وهي درزية من أشهر رجالاتها الأمير شكيب أرسلان من أكبر الدعاة للعربية . ومنهم الأمير مجيد أرسلان الذي تولى وزارة الدفاع اللبنانية مرات عديدة . وقد أورد أبو شامة في كتابه « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » أن أرسلان أول من حارب الصليبيين في الشام . وهناك في سوريا أسرة رسلان .. أما في مصر فهناك ست أسر تحمل هذا الاسم .. الأولى في الشرقية بقرية الغار وإليهم ينتسب طلعت رسلان عضو الهيئة العليا للوفد والنائب المشهور ، وهي أسرة وفدية منذ سعد زغلول ، وكان لهم نائب في البرلمان في الأربعينيات ، والثانية في المنوفية وهي أسرة تنتمي للحزب الوطني والثالثة في الصعيد ولهم نائب في مجلس الشعب ، والرابعة في البحيرة في قبائل أولاد علي والخامسة في الإسكندرية والسادسة في فايد وأغلب الظن أنهم من الشام أوشبه الجزيرة العربية فملامحهم تدل عليهم .



حتى الطليان ..
لهم جذور في أسمائنا !

بريدي متخم كل يوم برسائل القراء عن غرائب الأسماء .. البعض يضيف .. والبعض يسأل عن أصل اسمه « الغريب » الذي تعب بحثا عن أصله ، ويرجوني ــ بما لي من علم !! ــ أن أساعده في الوصول إلى أصل الاسم .. أو معناه .. وأعد كل هؤلاء أن أحاول الرد على رسائلهم . ولكن من أطرف الرسائل التي وصلتني ، رسالة جاءت من قرية « ميت الكرماء !! » مركز طلخا من المواطن محمد أبو بكر عبد العليم .. فهو يتعجل إنهاء مسلسل غرائب الأسماء المصرية .. لأبدأ الكتابة عن « مسلسل غرائب الأسعار المصرية » ويضرب أمثلة لأسعار تكوي الناس كل صباح .

ورسالة ثانية من الإسكندرية من القارئ محمد عطية رضوان وقعها ــ وبفخر ــ « وفدي من العشرينيات » . وفيها ــ بعد أن يحيي الوفد حزبا وزعامة وصحيفة ، وبالأخص « الواد عصفور اللي ريشه دهب » ــ يقول : لا تتعب نفسك في مسلسل غرائب الأسماء فهناك ما يغيب عن الذهن منها . وبعد أن تحدث عن أسماء : الناقوري وليس الباقوري . والعرارجي والبلاسي . يقترح

أن أريح نفسي ، لأحكي لكل المصريين عن أحوال الغم والهم .. ويطلب أن أدخل إلى ما يفيد الوفديين ، وهي رسالة بليغة من وفدي قديم ، منذ النشأة ، ولكن لأن الوفد والوفديين معركتهم الأولى هي الديمقراطية ، ومطلبهم الأول ـــ بل طريقهم ـــ هو الديمقراطية .. فسوف أطبق ما ينادي به الوفد ، وأنزل على رأي الأغلبية ، وأستمر ـــ ولو لفترة قصيرة ـــ متحدثا وكاشفا عن غرائب الأسماء .. وهناك رسائل خاصة سوف أعود إليها بالتفصيل ، خصوصا « رسائل الدكتور صلاح برادة » والدكتور عاطف أبو سليمان وغيرهم ممن أتحفوني بغرائب أسماء تحتاج إلى شرح وتعليل .. وأقول للدمياطي المخضرم المغترب الذي كشف عن حقيقته في رسالته الأخيرة : يحيى محمد عبد الله المدير السابق لشركة مصر للبترول : مازال بيت أسرتكم المميز بلونه الأخضر صامدا على كورنيش دمياط ـــ شارع سعد زغلول ـــ قريبا من جمرك دمياط . ويحتل موقعا كبيرا على شارع مؤسس الوفد من ناحية .. وشارع الملكة فريدة من ناحية أخرى .. كما أن « دوار الأرز » الذي أنشأه جدكم الأول يعمل حتى الآن .. وفي لغة الدمايطة فإن دوار يعني مكان فراكة الأرز أو تبييضه في لغة الرشايدة .. أخوال الدمايطة .. ولا أدري هل انقطعت صلتك بدمياط ، واستوطنت هليوبوليس ؟ وعلى فكرة صحة الاسم كما يقول ، وكما تعود الدمايطة هو « أبو عبد الله » وأعد بأن أقدم لك وللقراء ما تطلب من « تحايف رمضان » ورحم الله أديبنا الشعبي طاهر أبو فاشا ، ابن « حارة البركة » في دمياط

حينا المشترك نحن الثلاثة وصاحب ألف ليلة وليلة العصرية التي قدمها في الإذاعة خلال الخمسينيات ثم في التليفزيون كل رمضان بعد أن أضاف إليها ، وأغنى وأصبحت من رموز شهر الصيام .

وهنا لا أستطيع تجاهل رسالة الدكتور برادة إذ يربط بين وجود جالية إيطالية كبيرة في الإسكندرية وبين تأثيراتها على الأسماء المصرية .. إذ كان لوجود هذه الجالية ولأجيال متعاقبة تفاعل مع الأسماء المصرية ، وحدث نوع من الامتزاج . وإذا كانت الألقاب في اللغة الإيطالية تنتهي غالبا بحرف متحرك هو الياء مثل روسيني . توسكانيني . مانياني . ماركوني . موسوليني .. فإن الأسماء تنتهي غالبا بحرف متحرك أيضا هو « الواو » مثل ألبرتو . ألدو . أنجلو . جورجيو . روميو . جاليليو .. ونتيجة لتأثر أهل الإسكندرية باللغة الإيطالية أصبحوا يطلقون أسماء مصرية على نفس النغمة والنهاية فوجدنا : حليمو . حميدو . حسبو . رحمو . عينو . جادو . حمامو . وهي كما نرى أسماء مصرية أضيفت لها الواو مثل الأسماء الإيطالية . بل تعدى الأمر إلى اقتباس أسماء إيطالية بحتة مثل : مورو . بجاتو . هنو . غاربو . وهي عائلات معروفة بالإسكندرية .

وعلى الصعيد المصري ــ كما يقول الدكتور صلاح برادة ــ دخلت اللغة الإيطالية في محادثاتنا وأصبحت راسخة ثابتة مثل : فزيتا ، وهي أجرة فحص الطبيب للمريض وما زالت شائعة في مصر حتى الآن .موبيليا . كومودينو . فروتا . روشتا . روبابيكيا . كانتو .

إستبينا .. إلخ . وأدعو خبراء اللغة الإيطالية إلى أن يشرحوا لنا معنى كل كلمة من هذه الكلمات ، وإن كان العامة قد عرفوا معانيها ..بالفطرة .

وأقول ليس التأثير إيطاليا فقط .. بل هو تركي . فارسي . يوناني . فرنسي . إنجليزي .. ويمكن أن أخصص حلقة لتأثير هذه اللغات والحضارات على قاموس الأسماء والحياة المصرية بحكم أن مصر كانت دولة مفتوحة أمام العالم كله .. وإن استطاعت الشخصية المصرية ـــ كما قال أستاذنا عباس العقاد ـــ أن تستقبل وتهضم كل ما أتى إليها .. دون أن تنسى أصولها وبحكم السماحة المصرية التي استقبلت كل المذاهب الإسلامية من شيعة إسماعيلية فاطمية ، إلى سنة على مذاهب مالك و الشافعي والحنفي والحنبلي .. وهي وإن رفضت المذهب الشيعي ، وإن نعمت بذهب الفاطميين وأبهة ملكهم ، إلا أنها سرعان ما عادت إلى المذهب السنى .. بل ليس غريبا أن المذهب الشيعي كان مذهب الحكام .. وبقى الشعب المصري على مذهبه السني .. ولهذا لم يجد صلاح الدين الأيوبي مقاومة تذكر عندما قرر العودة بمصر إلى المذهب السني بعد أن أنهى الخلافة الفاطمية ، وعزل آخر خلفائها العاضد عام 1171 ميلادية . وللتفرقة بين أتباع المذاهب السنية وجدنا من يحمل أسماء : المالكي نسبة للإمام مالك . وهكذا الشافعي والحنفي والحنبلي .

انقرضت المهن ..
وبقيت الأسماء

كل لغات العالم فيها ما في العربية من غرائب أسماء وصفات . فإذا تعمق القارئ في الإنجليزية لوجد العجب . تماما كما في الفرنسية رغم رقتها المتناهية ، والإيطالية لغة الموسيقى ، أو اللغة الموسيقية . لم لا واللاتينية ــ أصلها ــ هي أم اللغات الأوروبية الحديثة ..

وفي قاموس الأسماء المصرية نجد أسماء مازالت صامدة رغم انتهاء عصرها .. وربما لم يعد يسمع أحد عنها . مثلا هناك الكيال .. وأبو كيلة .. و « الكيلة » كانت وحدة من وحدات الوزن مثل الأردب والقنطار والربعة . ولكن معظمها دخل عالم التاريخ بعد توحيد المكاييل والموازين المصرية . فقد تركنا « الأقة والرطل والكيلة » وتحولنا إلى الكيلو جرام العشري الذي يسهل حسابه .. ورغم هذا مازلنا نجد عائلات : الكيال .. وأبو كيلة .. والرطل . وإذا كنا قد تنازلنا عن الرطل .. فإنه مازال وحدة للموازين في بريطانيا .. وما أحوجنا للعودة إليه .. بعد أن التهبت الأسعار !!

ولأن « الحنة » كانت من أهم مواد التجميل ، كانت تجارة

الحنة رائجة في كل بلاد الإسلام ، وكان السودان وما زال المصدر الأول لصناعة الحنة ، والأصل هي الحناء . وكانت لها قوافل ومواسم . ومازالت السودانية أبرع من ينقش بالحناء الأيادي والأقدام ، وإن كانت « الحنة » الحبشية أفضل . وعن السودانية نقلت الخليجية عشق الحناء ، بل برعت الخليجية في ابتكار أشكال عديدة للتجميل ، وتزيين الأطراف .. وكانت « الحنة » من أهم ما يبيع العطار . ولأن تجارة الحنة كانت رائجة وجدنا تاجر الحنة أو الحناء مشهورا .. ولهذا وجدنا عائلات الحناوي في مصر ، وفي سوريا ولبنان . وكما وجدنا في مصر من الحناوية من أصبح تاجرا ، وجدنا من أصبح ضابطا .. وصحافيا .. أما في سوريا فقد وجدنا من يقود الانقلابات ويحكم عاصمة الأمويين هو الزعيم سامي الحناوي الذي انقلب على الزعيم حسني الزعيم عام 1949 .

ومن الأسماء التي لم يعد لها أي معنى لانتهاء عصرها نجد : العبد . ومنها أكبر المقاولين .. وكان محمد حسن العبد ــ ابن فارسكور ــ مقاولا عصاميا ، بدأ من الصفر حتى صار اسمه على كل لسان ، ومات بعد أن ترك واحدة من أكبر شركات الإنشاءات في مصر . وأصبح في العائلة من كان ضابطا له دوره خلال معركة الإسماعلية في يناير 1952 إذ كان اليوزباشي « النقيب » شريف العبد ضابط الاتصال المصري بالقوات البريطانية .. وقد سجل تطور أحداث معركة المحافظة ساعة بساعة ، وصعد في سلك الشرطة حتى

مثل الحاج عثمان العبد ، مدير عام إعلانات أخبار اليوم . وهناك فرع آخر من « العبد » أصبح مشهورًا بصناعة الحلوى ، وينافسون بذلك أصحاب محلات الحلويات الشامية بأصولهم الفلسطينية واللبنانية .

وأيضا الجيار . وكانت صناعة الجير من أهم صناعات مصر . وهو حجر يحرق ثم يطفأ بالماء ليصبح مادة للطلاء .. أو مادة للصق ، إذ كانت تستخدم « مونة » للبناء وكان « للجيارة » سوقهم في كل قرية ومدينة .. كما كان « للمجاير » مكانها المعروف و هي أفران حرق الحجر لتحويله إلى جير بعد إطفائه .. وما زال في القاهرة « حي الجيارة » .. ولكن بعد ظهور الأسمنت ومواد البناء والطلاء الأخرى ، اضمحلت صناعة وتجارة الجير في المدن ، وإن بقي منها القليل في القرى خصوصا في جنوب مصر ، أي الصعيد .. ورغم هذا مازالت عائلات الجيار تتمسك بالاسم القديم العريق .. تماما مثل عائلة السقا .. وكان السقا أو السقاء هو تاجر الماء ، أو حامله . يجلبه من النهر قديما ، و يحمله مباشرة إلى البيوت حيث يوضع الماء في « الأزيار » جمع « زير » وتوضع فيه أحجار « الشبة » لترويقه .. ليصبح بعدها صالحا للشرب والاستخدام الآدمي .. وكان من السقايين من يحمل الماء على عربة تجرها الدواب ، سواء في خزان خشبي محكم ، أو في « قرب » مصنوعة من جلود الماعز . وكان سعر قربة الماء يحدد من السلطة المحلية ، منعا للمغالاة .. ويزيد هذا

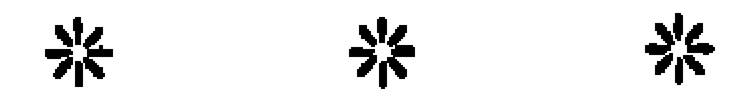
السعر كلما بعد المنزل عن مصدر الماء .. بل كان سعر القربة إلى الدور الأرضي أرخص من سعرها لو صعد بها السقا إلى الأدوار العليا .. وكان للسقايين شيخهم .. وكانت لهم حارتهم .. بل ونقابتهم . وكان هؤلاء يقومون بما تقوم به الآن هيئة المياه أو شركة المياه من مهمة حيوية ، وهي توصيل المياه للبيوت البعيدة عن مجرى النيل ، أو الخليج المصري أو الناصري . وكان السقا يحصل على أجره آخر كل أسبوع . ولهذا كان يضع خلف أذنه أصبعا من الطباشير يضيف به خطا على أقرب مكان للزير كلما صب فيه « قربة ماء » وفي آخر كل أسبوع يتم الحساب .. وكانت العملية تتم بأمانة تامة .. فما كان أحد يجرؤ على أن يمسح خطا من الخطوط التي رسمها السقا طمعا في قيمة قربة الماء .. فالناس كانوا يتعاملون بالصدق والأمانة وقد سجل أديبنا الراحل يوسف السباعي السقا في واحدة من قصصه البديعة التي تحولت إلى فيلم سينمائي تحت اسم « السقا مات » .

وإذا كانت هناك أسماء لحرف ما زالت باقية حرفها .. فإن هناك أسماء لا أعرف لماذا استمرت ، رغم اختفاء هذه الحرف . من النوع الأول : الفوال . الطباخ . والغريب أن الفوال الذي كان بائعًا للفول المدمس أصبح الآن بائعًا مشهورًا للأحذية .. والطباخ كذلك ، ترك الأحفاد صناعة الأجداد .. وأصبحوا أيضًا من كبار تجار الأحذية !! البواب . البنا . الفطايري . الفطاطري . الحلواني . الكحكي . الحناوي . النجار . الخشاب . الصباغ . اللبان . اللفات « صانع

اللفت والطرشي » الرفا . السروجي . وإن بعدت هذه الحرف عن العائلات أو تركتها هذه العائلات بحكم التطور التاريخي .. إذا كان هذا مازال موجودا ..فماذا نقول في النوع الثاني مثل : الحطاب . السرجاني . الدخاخني وكانت تجارة الدخان من التجارات الرابحة . بل إن محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة كان أبوه تاجرًا للدخان ولهذا احتكر تجارة الدخان بعد أن دانت له مصر . العسال . الدهان ـــ وليس شرطا أن يكون بائعا للدهن .. بل إن المقصود هنا بالدهن الروائح أي الزيوت العطرية ، وما زالت هذه الصفة شائعة في دول الخليج .. فالدهن هو العطر . وبذلك يكون الدهان هو بائع العطور .. وهناك أيضا : الزيات .. والوراق .. والوراق ليس بائع الورق .. بل هو بالدرجة الأولى « ناسخ الكتب » وذلك قبل أن يعرف العالم فن الطباعة واكتشاف المطبعة على يد الألماني يوحنا جوتنبرج في منتصف القرن الخامس عشر . وماذا نقول في « القفاص » وقد انقرضت تقريبا حرفة صنع الأقفاص من جريد النخيل ، وعرفنا الآن أقفاص البلاستيك .. تماما كالحداد وكان لابد من وجوده في كل المدن والقرى .. بل كان للحدادين شوارع مميزة في كل مدينة وقرية . وكانت ورشتهم تتوسط المدينة أو القرية .. وإذا كانت هذه المهنة قد انقرضت أو كادت من المدن .. إلا أنها مازالت موجودة في القرى ، وأصبح معظم عملهم ينصب على أعمال الكريتال أي النوافذ والشبابيك حديدية الصنع ..

وقد لايعرف الكثيرون أن المملكة العربية السعودية مثلا ترفض

دخول بعض حملة الأسماء إليها .. من ذلك مثلا : عبد النبي .. انطلاقا من أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن له عبيد . وكذلك « عبد الرسول » .. وتشترط لسماحها بدخول هؤلاء أن يغيروا أسماءهم ليصبح مثلا عبد النبي .. عبد رب النبي . وعبد الرسول .. عبد رب الرسول .



أسماء .. فرعونية الأصل

عندما بدأت كتابة هذا المسلسل كنت أعتقد أنني سأكتب 3 أو 4 حلقات . ولكن ماذا أقول وقد أرسل البعض يطالبني بالمزيد ، بل إ ن البعض يرجوني أن أشرح له سر اسمه الغريب ! ومع أن هذه ليست مهمتي ، إلا أنني سأحاول ــ من خلال شرحي لأصول غرائب الأسماء ــ أن أقدم تفسيرا لما أعرف .. ذلك أن بعض الأسماء لها أصول ولها معان .. وكثيرها لا يمكن تفسيره .. كما أن البعض يعتمد على الطرفة ..

مثلا إذا كان البعض أطلق على أولاده أسماء تدل على القوة ، أو أطلق عليه الناس هذه الأسماء لسلوكه مثل الديب والوحش والدكر .. فماذا نقول في الحشاش ؛ وهي بالقطع لا يقصد بها الفلاح الذي يحصد أي « يحش » المحصول . ولكن يقصد بها من كان يدخن الحشيش . وللعلم لم تكن تلك جريمة يعاقب عليها القانون في العصور الوسطى . بل كانت لهم سطوتهم .. وما زال التاريخ يحمل الكثير عن الحشاشين ، ودولة الحشاشين التي نازعت صلاح الدين الأيوبي السلطة عندما كانت الإسماعلية الحشيشية ورئيسها راشد الدين سنان لها سطوة وقوة وجيش في الشام ، وكانت من القوى التي

تصدت للناصر صلاح الدين. عند بدء إنشائه للدولة الأيوبية في مصر ، واضطر إلى مساومتهم ومهادنتهم .. ثم انقض عليهم .

ولكن ماذا نقول في أسماء : القفل . الدكر . الخشن . بحر . نحلة . الهلف . جلهوم . خرشوم . بهلول . السيسي . دهموش ، كما يقول يحيى محمد عبد الله ؛ ومن غرائب المهن التي أصبحت أسماء لعائلات عريقة ضاربة في التاريخ نجد أسماء : الفخراني ، أي صانع الفخار وصناعة الفخار من الصناعات التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ ففيها حفظ الإنسان مأكله ومشربه ووجدنا الأواني الفخارية في كل المقابر الفرعونية ، حتى أن بعضها خصص لحفظ أحشاء الميت . وبرع المصريون في صناعة الفخار خصوصًا في جنوب مصر . كما أن صناعة الفخار جادت في الدول النهرية بسبب توافر الطمي . والعجواني أي صانع العجوة من البلح . وكسبة والكسباني وهم صناع الكسبة وباعتها . والكسبة لمن لا يعرفها هي بقايا عملية عصير السمسم للحصول على زيت السيرج ، وصناعة الطحينة والحلاوة الطحينية .. والبقايا نطلق عليها كسبة . وهي « غموس » الفقراء لاحتوائها على قيمة غذائية عالية ليس فقط في بقايا الزيت .. ولكن أيضا فيما تحويه من ألياف وسليولوز في قشر السمسم .. وإذا كانت « السرجة » حيث كان يعصر السمسم قد اختفت تقريبا من أحيائنا إلا أن البعض يحاول التحايل الآن بصنع « الكسبة » من الطحينة لتقديمها لمن يعشقها . وكان أفضل أنواع الكسبة ــ قديما ــ هي ذات اللون البني الفاتح ، وكان أقلها جودة الكسبة التي

تميل إلى السواد .. ولهذا وجدنا من يحمل اسم « كسيبة » كناية عن سواد لون البشرة .. وإن كانوا بيض القلوب . ومنهم حسن بك كسيبة الذي كان نائبا عن دمياط في مجلس النواب في الثلاثينات و لم يوفق في المعركة الانتخابية « الأخيرة » قبل ثورة 23 يوليو 1952 في ديسمبر عام 1949 إذا فاز عليه حامد بك العلايلي . وهي الانتخابات التي اكتسح فيها الوفد معظم مقاعد مجلس النواب وعاد إلى حكم مصر محمولا فوق هامات كل المصريين .. بعد أن أبعده تحالف القصر مع أحزاب الأقليات عن الحكم حوالي 6 سنوات .

وبسبب حيرة الإنسان في الظواهر الطبيعية ، وربما هي مخلفات لما قبل الأديان نجد من يحمل أسماء شمس . وعبد شمس . والشمس وشمسة . وكذلك نجم والنجمي ونجمة والنجومي ومنهم حملة السيف والقلم ، فلا ننسى اللواء عبد الله النجومي الذي عين عام 1952 مديرا عاما لحدائق حيوان الجيزة .. وله كتاب خطير هو أروع مرجع عن الطيور المصرية .. وربما لهذا لم تخرجه حكومات ما بعد 1952 إلى الاستيداع لأنه كان من رجال الملك فاروق .. فرأت أن تبعده عن الجيش والشرطة وإن أبقت عليه في موقع آخر للاستفادة من خبرته وعلمه وربما للمحافظة على علاقة مصر بالسودان ، لأنه كان سودانيا وله عائلته الكبيرة هناك .. كذلك نجد من تسمى باسم القمر ربما لجمال هذا أو ذاك ، فوجدنا قمر . القمري . ووجدنا من أصبح أبا للقمر .. وليس غريبا أن وجدنا الأقمر !! ومن الظواهر الطبيعية

وجدنا من حمل أسماء : سحاب . مطر . رعد . ولا يمكن أن نقول إنهم كانوا من عائلات تضرب جذورها في التاريخ عندما عبد الناس هذه الظواهر .. تماما كما نجد أسماء حملت ظواهر أرضية مثل : جبل . أبو جبل . تل . والتل . ومنهم عبد الله التل الأردني الذي كان قائدا لحامية القدس العربية ووصفي التل الذي كان رئيسًا لوزراء الأردن . والنهري . والبحر . والبحراوي .. فهل كان كل هؤلاء من الباحثين عن المجهول حتى ولو كان معلقا في السماء ..

ولأن المصريين من أكثر شعوب الأرض حبا لتاريخهم وتقديسا واحتراما لأبطالهم .. نجد من يحفظ أسماء فراعين مصر العظام ، هؤلاء الذين بنوا الحضارة ووضعوا أسس العلم الأول .. لهذا نجد ــ وحتى اليوم ــ من يحمل أسماء فرعونية : ذكورا وإناثا ، فنجد مثلا : أحمس بطل التحرير المصري العظيم الذي قاد راية الكفاح بعد استشهاد والده « سقننرع » ثم أخاه كاموس أو كاموسا وهما يطاردان الهكسوس . وواصل أحمس رسالة التحرير حتى تمكن من طردهم إلى جنوب الشام ليصبح واحدا من أبرز أبطال التحرير في تاريخ مصر بعد أن حكموا مصر قرنا ونصف قرن من الزمان وذلك عام 1580 ق .م .. ووجدنا ــ حديثا ــ من يحمل اسم هذا المناضل الكبير . فهناك ــ مثلا ــ أحمس الحمامصي وهو من أشهر أطباء مصر . وهو شقيق مهندس الصحافة المصرية الراحل جلال الدين الحمامصي . وهناك أيضا هذا الوحدوي المصري العظيم « مينا » موحد الوجهين وأبو أول حركة وحدوية عرفها العالم .. « 3200 سنة ق . م » لهذا

نجد من يحمل اسم مينا .. كذلك تحتمس الثالث أصغر قادة مصر العسكريين الذي قاد 17 حملة عسكرية لضرب العابثين في آسيا ، والذي يعتبر بحق مؤسس الإمبراطورية المصرية الفرعونية ، وضرب الحيثيين في شمال الشام . ووجدنا من يعشق القوة فأُطلق على أحد أولاده اسم تحتمس هذا ، أبرز فراعنة مصر الحديثة .. وأيضا رمسيس « الثاني » أشهر ملوك مصر القديمة وأبعدهم صيتا ، وهو الذي خاض معارك طاحنة ضد الحيثيين الذين كانوا يدبرون المؤامرات على الحكم المصري في آسيا حتى هزمهم في معركة قادش أشهر معارك التاريخ القديم .. وبعدها أجبرهم على توقيع أول اتفاقية سلام في التاريخ يتعهد فيها الطرفان على أن يسود السلام بينهما .. أيضا نجد ممن عشقوا تاريخ الحضارة الفرعونية من يحمل أسماء إيزيس وأوزيريس وأسطورتهما التي حملتها أوراق البردي عن الوفاء والتصدي للغدر . أيضا وجدنا حتى الآن من يحمل أسماء تحمل رحيق الماضي وروعة تاريخ الأجداد ..

وبمناسبة التاريخ هناك أسماء لها رائحة مازالت شائعة بيننا حتى الآن . كعائلة الألفي مثلا ومنها الضباط والكتاب والفنانون والتجار . مثلا هل نعرف معنى أسرة « الألفي » ؟ .. دون زعل ياسادة .. الألفي هو المملوك الذي دفع فيه 1000 دينار أو « دوقاتية » وهي عملة ملك صقلية روجر الثاني . والجد الأكبر للألفية هو قلاوون الذي أسس أسرة توارثت ملك مصر وتسمى بالسلطان الألفي ، أي نسبة إلى الثمن الذي دفع فيه وهو ألف دينار . ولهذا كان يزهو

وتسمى بالسلطان الألفي قلاوون . وله الحق فقد دفع في الظاهر بيبرس 8 دنانير ثم رده المشتري إلى البائع بعد أن اكتشف سحابة على إحدى عينيه الزرقاوين . بينما نجد سلطانا آخر لا يقل شهرة هو قايتباي لم يزد ثمنه عن 50 دينارا . وكان التتار أبهظ المماليك سعرا ثم الشراكسة فاليونان فالصقلي والألباني وكان الأقل سعرا !! وكان الرقيق الأسود يسمى عبدا . بينما سمي الأبيض مملوكا ..

وهناك تفسير آخر لمعنى الألفي هو أنه الأمير المملوكي أو القائد الذي كان يقود قوة عسكرية عددها ألف من الجنود في جيش مصر . وكان ذا عزوة ومهابة ، وأحيانًا أميرا للجيوش . وامتدادًا لعائلة الألفي .. والمماليك نجد المملوك محمد بك الألفي الذي نافس محمد علي باشا على سلطان مصر . وكان من أبرز وأغنى أمراء المماليك في مصر ، حتى إن نابليون بونابرت استولى على قصره بالأزبكية ، واتخذه قصرا له ، ومقرا لقيادة الجيش الفرنسي طوال بقاء هذه القوات في مصر (3 سنوات) . وفي هذا القصر لقي الجنرال كليبر ــ خليفة بونابرت أو بونابرته كما أطلق عليه مؤرخنا العظيم الجبرتي ــ في هذا القصر لقي كليبر مصرعه على يد الفدائي الأزهري سليمان الحلبي ، والذي اختبأ تحت أشجاره ؛ حتى اعتقلوه وحاكموه ، وأحرقوا يده اليمنى حتى المرفق ، ثم أجلسوه على ذؤابة الخازوق ليموت بعد 8 ساعات .. ثم عاد القصر للأمير الألفي ، وكان يضاء بالأنوار التي تلقي بأضوائها على مياه بركة الأزبكية حيث

ترمح السفن والزوارق .. وهو القصر نفسه الذي آل إلى شاهين بك الألفي أكبر أمراء المماليك ، والذي ناطح محمد علي على سلطان مصر . ولهذا وضعه محمد علي باشا على رأس قائمة المماليك الذين تخلص منهم في مذبحة القلعة المعروفة يوم أول مارس 1811 . هذا القصر نفسه تحول إلى فندق كبير لاستقبال الضباط الإنجليز في ذهابهم وعودتهم من إنجلترا إلى الهند ، وأصبح معروفا بفندق شبرد الذي أحرق يوم 26 يناير 1952 ، قبل أن يعاد بناؤه في موقعه الحالي على كورنيش النيل . وموقع قصر الألفي الآن على شارع الجمهورية — إبراهيم سابقا — وحتى قرب مستشفى صيدناوي ، ويحده غربا شارع محمد بك الألفي نفسه .. وهكذا أصبح للألفي مساحة من تاريخ مصر وقصر وشارع وأرض لا أعرف إلى من آلت !!

* * *

الوحدة الوطنية ..
في الأسماء المصرية !

عظيم هذا الشعب المصري العريق . الذي استطاع أن يقدم للعالم نسيجا نادرا ، وثوبا واحدا للوحدة الوطنية . أصبح نموذجا يحتذى لشعوب العالم أجمع ؛ فقد عاش المصري جنبا إلى جنب مع أخيه المصري ، دون أن ينظر إلى ديانته أو يسأل عن هويته . وإذا كانت الأقليات في الدول الأخرى قد عزلت نفسها عن غالبية المجتمع ، وفضلت أن تعيش داخل مناطق وأحياء محددة لتحتمي بكثرتها داخل هذه المناطق من خطر الاعتداء عليها ، إلا أن الوضع في مصر مختلف تماما ؛ فالمسلم يجاور المسيحي في السكن ، ويزامله في العمل .. ويشاركه في التجارة . وأرض المسلم الزراعية تلاصق أرض أخيه المسيحي حتى اختلط الدم المسلم بالدم القبطي . ويؤيد هذا ما قاله مكرم عبيد باشا أحد أقطاب الوفد وهو يصف عمق الأخوة الإسلامية — القبطية خلال ثورة 1919 : « المصري المسلم والمصري القبطي توأمان و مصر هي الأم . الأول رضع من إحدى ثدييها والثاني رضع من الثدي الأخرى .. » ولأنهما رضعا من صدر واحد توثقت بينهما أواصر الأخوة ، وعوامل الامتزاج .

ومن مظاهر الامتزاج المصري : المسلم والقبطي ما نراه في عالم الأسماء المصرية . وإذا كان مقبولا ـــ دون نقاش ـــ أن يطلق المسلم والقبطي أسماء عظماء مصر من الفراعين : خوفو ورمسيس وتحتمس وأحمس . بحكم أن الفراعنة هم أجداد للكل .. فماذا نقول في أسماء غير فرعونية جاءت كلها لتؤكد الوحدة الوطنية بين مسلمي مصر وأقباطها ..

وقد مرت الأسماء القبطية المصرية بعدة مراحل .. فقد كان قدامى الأقباط يتمسكون بالأسماء القديمة ذات الوزن التاريخي على مر عصور المسيحية ، وقد كان للكنيسة المصرية ، وما يزال ، دورها في التاريخ الكنسي ، العالمي . ومر التمسك بهذه الأسماء بين صعود وهبوط ارتبط بالأوضاع السياسية والأمنية في مصر . ففي الفترات التي كان يحس فيها الأقباط باحتمال مخاطر يتعرضون لها كانوا يعودون إلى الأسماء القبطية التقليدية التي توارثوها .. وفي فترات الامتزاج كانت تنتشر بينهم الأسماء المشتركة التي يصعب التفرقة بينها . وهل هي أسماء لمسلمين أم لأقباط . وإذا كان المصري حتى القرن الماضي قد لجأ إلى الأسماء القبطية القديمة فإنما ليحصن نفسه من بطش الحاكم مملوكا كان أم تركيا .. مصريا أم أجنبيا .

ولكن هذه الصورة اختلفت الآن ، حتى أصبح من الصعب التفريق بين أسماء إسلامية .. وأسماء قبطية ليس فقط في أسماء الأفراد ، بل أيضا في أسماء العائلات . وليس أيضا فقط في أسماء الرجال .. بل أيضا في أسماء النساء .

فمن أسماء العائلات المشتركة نجد المراغي المسلم .. والمراغي القبطي . من الأولى جاء الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي وصل إلى أعلى مراتب الإسلام عندما تولى مشيخة الأزهر ، وكانت له مواقف ومواقف يسجلها تاريخ مصر الحديث ... بل وثار الأزهر ضد القصر وخرجت مظاهرات طلابه وشيوخه تعترض على إبعاده عن المشيخة ، ونجح الأزهريون في إعادة الشيخ المراغي رغم أنف القصر الملكي . وله شارع باسمه الآن في حي العجوزة . ومنها أيضا مرتضى المراغي الذي كان وزيرا لداخلية مصر في فترة من أخطر فترات مصر الحديثة .. هي الفترة التي سبقت قيام ثورة يوليو 1952 ، وكان وزير خارجية مصر في حكومة نجيب الهلالي باشا وبجانب هذه العائلات الإسلامية نجد يشوع إسكندر المراغي . وهكذا امتزجت العائلات مسلمة ومسيحية ، لأنها جاءت من مدينة واحدة هي المراغة . أيضا إذا تركنا صعيد مصر واتجهنا إلى بحري مصر نجد عائلات الجبلاوي المسلمة في دمياط وكان لي منهم أصدقاء وزملاء دراسة ، وعائلة الجبلاوي القبطية بالإسماعلية ولي منهم أصدقاء أيضا . وليس غريبا أن نجد عائلة عسل المسلمة في دلتا مصر .. وعائلة عسل القبطية في صعيد مصر .. كذلك نجد من العائلات القبطية العريقة عائلة غالي وكان منها من شارك في ثورة 1919 وتولى الوزارة : رئيسا ووزيرا .. بينما نجد عائلة غالي بعد أن أضيفت إليها أداة التعريف : أل : لتصبح الغالي . وهي عائلة دمياطية عملت بالتجارة وصناعة منتجات الألبان .

وإذا كان البعض ينعي على الإخوة الأقباط الاتجاه نحو التغريب في الأسماء ، أي إطلاق أسماء غربية على أولادهم .. فإننا نجد من المسلمين من مالوا أكثر نحو هذا التغريب ..

ومما يؤكد عمق امتزاج أسماء المصريين : مسلمين وأقباطا ـــ ما نراه في الحياة اليومية . فمن أسماء الذكور المشتركة بينهما ـــ على سبيل المثال ـــ نجد : فكري . كامل . منصور . طلعت . فايز . وجدي . نبيه . أمين . جاد . ممدوح . عادل . زكي . فهيم . حبيب . خليل . لبيب وعوض .. وعزمي . وعزيز . وجمال . ولطفي .. وأسماء لا يطولها حصر .

ومن أسماء النساء نجد : آمال . إكرام . مرفت . فوزية . محاسن . أماني . هدى . وطابور طويل وكل هذه الأسماء للذكور والإناث يستحيل أن تفرق بينها وهل هي أسماء لمسلمين أو إخوة أقباط .

ولأنني من هواة قراءة صفحات الوفيات في الزميلة « الأهرام » ليس فقط لأنها تمثل مصدرا من مصادر معرفة طبائع الأمة المصرية ولكن لأنها وسيلة للربط بين العائلات ومعرفة كيف تحكم مصر فعلا لا قولا . في هذه الصفحات إذا حذفت جملا معينة في بداية كل نعي يصعب عليك معرفة هل الأسرة مسلمة .. أم قبطية . مثلا جمل : انتقل للأمجاد السماوية . أو رقد على رجاء القيامة . أو بجوار المسيح ذاك أفضل جدا .. فسوف تحتار .. هل الفقيد مسلم أم قبطي

بسبب تشابه الأسماء جميعا .. بل هناك أسماء لصحفيين وكتاب كبار يحتار القارئ فيها .. مثل الكاتب الكبير موسى صبري « الأخبار » والكاتب الصحفي صبري موسى «صباح الخير » . حتى كاتبنا الكبير أنيس منصور ، وكنا في فصل واحد : الطرابيلي المسلم ، وطرابولي القبطي . وكل ما حدث أن حلت الواو في الثانية محل الياء في الأولى !! ومرة سألني زميل دراسة هل صلاح ذهني مسلم أم مسيحي وكان وقتها سكرتيرا عاما لدار الأوبرا المصرية وكان قصاصا وأديبا موهوبا .. فقلت له مداعبا : لماذا لا تسأل ابنه الصحفي المعروف « محمود » ذهني الذي فقدناه هو أيضا منذ سنوات قليلة ؟ ..

أيضا يلاحظ أن قلة من الأقباط تتمسك بالأسماء القبطية التقليدية القديمة مثل : بطرس . كيرلس . فلتس . حنا . حبيب . هرمينا . جرجس . عازر . فكتور . يونان . صموئيل . ميخائيل . ميشيل . تادرس . دميان . مرقس . مكسيموس . شاروبيم . حزقيال . تماما كما حدث في الابتعاد عن أسماء للإناث مثل كاترين . جوليا . تريزة . لويزة . ليليان . روزا . إيفون .. وإن كان بعضها من أسماء التغريب .

ويستمر مسلسل الأسماء المشتركة بين المسلمين والأقباط في مصر مثل : عبد الله . رزق الله . عبد السيد .

ألم أقل لكم إن الوحدة الوطنية المصرية تتجلى أيضا من خلال الأسماء المصرية التي تؤكد تلاحم الأشقاء .

التغريب .. في الأسماء المصرية

في فترات التفسخ الاجتماعي الذي يحدث في أعقاب أي هزيمة ساحقة ، غالبا ما يحدث تمرد ، ربما يكون ظاهره عدم صلابة هذا المجتمع ولكن هذا لا يعبر عن حقيقة ما يدور تحت السطح من تفاعلات ، وبقدر عراقة هذا المجتمع بقدر ما تكون قدرته على امتصاص الصدمة ، وتجاوزها إلى إعادة البناء . ولأن الشعب المصري من أكثر شعوب الأرض تعرضا للكوارث بحكم طول عمره ، فإنه استطاع أن يكون كغابة من الإسفنج ، قادرة على الامتصاص .. وفي نفس الوقت قادرة على الطرد .

مثلا إذا كان المجتمع المصري قد شهد في أعقاب هزيمة 1967 الهائلة عودة إلى الدين ، فإنما كان ذلك أمرا طبيعيا بحكم ارتباط هذا الشعب بالأديان وتعلقه بالأنبياء . وبحكم تعرض مصر للعديد من الغزوات .. انعكس أثر هذه الغزوات حتى على أسماء الناس !! وقد مرت أسماء المصريين بدورات يجب الوقوف عندها بسبب ارتباطها بالغزاة .

●●ففي فترات خضوع مصر للخلافة العثمانية ــ ربما بحكم الولاء للخليفة الإسلامي ــ انتشرت أسماء خلفاء آل عثمان بين المصريين ،

فوجدنا أسماء : عبد العزيز وعبد الحميد وعبد المجيد ، تماما كما وجدنا أسماء صفوت وشوكت ورأفت . وامتدادا لهذه النظرية ، وانبهارا بنجاح الثورة التركية كطريق للإصلاح وجدنا المصريين وقد أطلقوا على أولادهم أسماء زعماء الثورة التركية مثل مصطفى كمال وعصمت « إينونو » وحكمت وغيرهم .

●●ومع الانفتاح على الثقافة الغربية ظهرت موجة عارمة من « التغريب » . وقد وجد المصريون في الثقافة الفرنسية ما يواجهون به تغلغل الاستعمار البريطاني الفعلي في بلادهم ؛ لهذا وجدنا الغلبة للأسماء الفرنسية بين الذين اتجهوا نحو التغريب في أسماء أولادهم لهذا وجدنا من أسماء الذكور في هذه الفترة أسماء : فرانسيس ، فيليب ، الفونس ، لويس ، فيكتور ، ألبير ، إميل ، ميشيل ، ألفريد .. ووجدنا من أسماء التأنيث : أوجيني ، سوزي ، لوسي ، لويزة ، سوزان ، صوفي ، مارسيل ، فيفيان ، جين ، إلين ، إيفيت ، مادلين ، جاكلين ، .

●●ولكن مع تغلغل النفوذ البريطاني ، وبمنطق المصالح الخاصة وارتباط بعض الفئات بالحكم البريطاني لمصر ، وجدنا الأسماء البريطانية تنتشر في المجتمع المصري ، فوجدنا من أسماء الذكور : إدوارد ، جورج ، هنري ، ولسون ، وليم ، لورانس ، ألبرت . بل ووجدنا من تسمى باسم كرومر !! ووجدنا من أسماء التأنيث : فيكتوريا ، إليزابيث ، بل وإلياصابات وبياتريس ، وآن ، وماري .

●●وتستمر موجة التغريب في الأسماء المصرية خصوصا في العقد

الحالي ، ربما مع تزايد موجات الهجرة للخارج و « هوجة » الشباب في السفر إلى الغرب حتى ولو كان لغسل أطباق « الغربيين » !! وهكذا نجد بعد ميخائيل ، الذي أصبح ميشيل ، نجد مايكل !! تماما كما نجد ماركو بعد مارك . كما نجد دوريس ، جيزيل ، لوسي وبوسي وسوزي ، ونانسي !! وهكذا أخذت تختفي أسماؤنا المصرية القديمة العريقة : رمسيس وأحمس ومينا ، وأسماء بولس وصليب وجرجس وبطرس وبقطر وصموئيل ومنقريوس .. مثلما اختفت أو كادت أسماء إيزيس ونفرتيتي ومنيرة ونجيبة ومجيدة .

والحقيقة المؤكدة أن ظاهرة التغريب في الأسماء المصرية لم تقتصر على المسيحيين وحدهم ، بل امتدت وشملت المسلمين أيضا سواء من باب التفرنج ، أو من باب المودة لأن البعض كان يرى في الأسماء التقليدية نوعا من الارتباط بأسباب التخلف ! ولم تتوقف ظاهرة التغريب عند أسماء الأفراد .. بل امتدت إلى أسماء الشركات والمحال ليست الكبيرة فقط بحكم أنها أسماء شهرة أو علامات تجارية ، بل أيضا إلى الدكاكين والحوانيت الصغيرة ولو كان صاحبه مكوجيا أو حتى سروجيا !! وإذا كان مستساغا أن نجد اسما غربيا على أحد نوادي الفديو فماذا نقول في مخبز استراسبورج أو مصبغة فيينا أوكوردنيري أوجيني !! ؛ ولم يبق إلا أن نجد كوارعي « سان جرمان » أو ساندويتشات فول « سان ميشيل » !! وتلك قضية يجب أن نقف عندها طويلا ؛ لأنه إذا كان من الصعب التدخل لمنع إطلاق أسماء معينة على الأشخاص .. إلا أن هناك قانونا يحتم أن تكون أسماء

المحال أسماء عربية ، وإذا كان لابد من اسم أجنبي فيجب أن يأتي في الدرجة الثانية من الإبراز بعد الاسم العربي . ولكن من يطبق القانون في بلادنا ! ؟

كذلك امتدت ظاهرة التغريب في الأسماء إلى المدارس والمعاهد ودور العلم . وإذا كان مقبولا أسماء بعض المدارس التي ارتبطت بتنظيمات مسيحية غربية معينة لها أبعاد تاريخية بحكم صلاتها بالوطن الأم الأجنبي مثل مدارس الفرير والليسيه وسان مارك والفرنسيسكان ومدارس الراهبات .. فماذا نقول في مدارس عصرية تطلق أسماء غربية على نفسها ، وهل هي محاولة للإيحاء بأن هذه المدارس التي تعلم اللغات هي مدارس أجنبية لجذب أولياء الأمور ؟ ! تلك قضية قومية لا يجب الاستهانة بها لأنها امتدت إلى مدارس خاصة في بعض حواري المدن . وكأنها أصبحت وسيلة للتفاخر ..

وإذا كان المجتمع المصري قد عرف بعض حالات الانبهار بالزعماء في الشرق والغرب فإنما كانت هذه مجرد حالات فردية مثل من حمل أسماء بسمارك بطل ألمانيا وموحدها في القرن الماضي ، وغاندي زعيم الهند وبطل استقلالها ، وهتلر .. ربما نكاية في المحتلين الإنجليز . وتيتو وسو كارنو ونهرو أقطاب سياسية عدم الانحياز . وعلى كل حال فإنه وسط موجات التغريب التي سادت المجتمع المصري ـــ ومازالت ـــ فإننا نجد محاولات جادة للتصدي لها ومقاومتها . وتمثلت هذه المحاولات في العودة إلى الأسماء المصرية القديمة : إسلامية وقبطية ، فنجد أبا واحدا

يسمي أولاده الذكور : حكيم . نعيم . عادل . رءوف .. وكم هي أسماء لها معان عظيمة ورقيقة . كما نجد أبا أطلق على أولاده أسماء : إسلام ، إسراء ، سناء ، صفاء . كما نجد وحدة الأسماء لبنات وصبيان أسرة واحدة مثل حكمت وعفت وعصمت وهمت وأتحدى إن عرفت مَن مِن هؤلاء ذكور ، ومن منهم الإناث ، ولكن الأغلب أن هذا الأب له جذور تركية عثمانية .. وعلى ذكر الأسماء التركية نجد من يختار أسماء تصلح للجنسين مثل : نور (نور الهدى ونور الدمرداش) وسناء (سناء منصور . وسناء شافعي) ورأفت (رأفت عطية لاعب الكرة القديم والدكتورة رأفت ..) ومن الأسماء ذات الطعم والرائحة والدسامة نجد هذا الأب الكريم الذي أطلق على بناته أسماء : كوثر ، نعمت ، فرات ، ثريا .. وأطلق على أولاده الذكور : أكثم وأكمل وأمجد !!

وإذا كان الإنجليز يضيفون حرف « S » إلى MR لتصبح MRS للسيدات فقد كان العرب وهم أعرق ، قد أضافوا تاء التأنيث إلى الأسماء المذكرة لتصبح أسماء مؤنثة . والعرب الذين كانوا ينسبون الأولاد إلى أمهاتهم لم يجدوا غضاضة في إضافة تاء التأنيث إلى أسماء رجالهم فوجدنا « عنترة » بن شداد وهو من هو فحولة وبطولة وفروسية وبلاغة وشعرا .. كما وجدنا عمرو بن هند ، وعمرو ابن كلثوم وعمر بن أبي ربيعة .

المغتربون .. والحنين للجذور

في الفصل السابق تحدثت عن التغريب في الأسماء المصرية واتجاه الكثيرين مسلمين وأقباطا نحو الأسماء الغربية ليس لمجرد التقليد ، ولكن ربما رغبة في التغيير والتشبه بالغربيين ؛ ولهذا وجدنا من المصريين من تسمى بأسماء فرنسية مثل : أوجيني . فرانسوا . شارل . أو بأسماء إنجليزية مثل جورج . إدوارد . ألبرت . إليزابيث . بل ومنهم من تسمى بأسماء أكثر تغريبا فوجدنا : مايكل . ماركو . وليزا . وشرحت لماذا وكيف ومتى تم هذا التحول في الأسماء المصرية .

واليوم أتناول اتجاها قد يبدو غريبا ، وإن لم يكن كذلك .. ولكنه في هذه المرة أتى من الغرب إلى الشرق !! وبمعنى أدق عودة إلى الجذور . إلى الأصول ، وممّن ؟! من المصريين الذين اغتربوا واختاروا حياة المهجر والهجرة الدائمة . وهي ظاهرة جديرة بالتسجيل . إذ في الوقت الذي يحاول فيه بعض المصريين الالتصاق بالغرب وسلوكياته فتسمى بعضهم بأسماء غربية صرفة .. نجد أن الذين اغتربوا وعاشوا بالفعل حياة الغربيين وسلوكهم يتمسكون بأسماء الأجداد ، ليس هذا فقط ، بل بسلوكياتهم الحميدة القديمة . وهذا بالتأكيد يعبر عن رغبتهم العارمة في عدم فصم الصلة

بينهم وبين الوطن الأم ، بل والتشبث بهذا الوطن الأم ، ولو كان في شكل أسماء يطلقونها على أولادهم ، وإذا كان المحدثون المقيمون في الوطن يبحثون عن أسماء عصرية لأولادهم ، نجد أن هؤلاء المغتربين يبحثون عن أسماء تاريخية عريقة : عربية ومصرية ليطلقوها على أولادهم .. وليس أعمق من هذا ارتباط بالجذور !!

ففي رسالة نشرها الكاتب الكبير أنيس منصور في عموده « مواقف » نجد هذا المعنى العميق . نجد مغتربا مصريا يعيش في ألمانيا الغربية ، وبالذات في هايدلبرج الواقعة في وسط البحر الجرماني بين فرانكفورت في الشمال وشتوتجارت في الجنوب ، وميونخ في الجنوب الشرقي . يقول إنه لم يعد يكتب بالعربية ، لأنه يعيش بالألمانية . وهو من أصدقاء كاتبنا الكبير ورفقاء طفولته في معشوقتهما الجميلة المنصورة . انظر إلى الأسماء التي أطلقها على أولاده الذكور : محمد وأحمد .. وإلى بناته : زينب وفاطمة ، حتى زوجته الألمانية يوهانا أصبحت عائشة !! ألا تعني هذه الأسماء شيئا ؟ ألا تؤكد رغبة هذا المصري المغترب الذي أصبح ألمانيا حتى لغته في أن يبقي على جذوره المصرية ممتدة ولو من خلال أسماء يطلقها على أولاده .. ألا تؤكد عشق المصريين وحبهم لآل البيت النبوي الشريف فأطلق على ولديه اسمي أشرف الخلق آخر رسل الله ، محمد بن عبد الله : محمد وأحمد . واختار أسماء لبنتيه فاطمة بنت رسول الله وزينب حفيدة رسول الله .. حتى زوجته اختار لها اسما كان لأحب زوجات النبي إليه : عائشة .. أي التصاق عظيم هذا ، وأي

تمسك بالأصول وعودة إلى الجذور وسط مجتمع التغريب الذي يعيشون فيه ، ولا يرحم .. هل هو « أسلوب للتحصين » من مخاطر المجتمع الغربي الذي يعيش فيه ؟ ! ليس هذا فقط بل نجد هذا الدقهلاوي المغترب قام بعمل قد يبدو صغيرا . ولكنه يعكس مدى حنينه للماضي . محاولا ألا يضع من ذاكرته . نجده قد ألف كتابا من 450 صفحة بالألمانية عن طفولته وحياته في المنصورة ذكر فيه حتى أسماء أصدقائه وزملاء دراسته من المسلمين والمسيحيين واليهود . وقد عرفت المنصورة بكثرة عدد اليهود الذين عاشوا فيها .. وفي رسالة هذا المغترب الدكتور محمد إبراهيم العقدة إلى صديق عمره كاتبنا الكبير أنيس منصور يقترح عليه ترشيح من يراه لترجمة كتابه هذا من الألمانية إلى العربية لينتفع به كل من يقرأه .. أليس هذا كله تأكيد لالتصاق المهاجرين المصريين بوطنهم الأم . وحرصهم على ألا يتوهوا ـــ وأولادهم ـــ وسط عالم التغريب الذي يعيشون فيه ؟ !

ويؤكد هذا الخط الانتمائي رسالة سابقة من الدكتور عبد الوهاب أمين الغمراوي المهاجر إلى شيكاغو في أقصى شمال الولايات المتحدة على بحيرة ميشيجان وأكبر مدنها الصناعية . وهي رسالة نشرها أيضا الأستاذ أنيس منصور في عموده . فقد اختار هذا المغترب المصري الذي يعيش في قلب المجتمع الصناعي الأمريكي أسماء آل البيت لبناته : خديجة وفاطمة وعائشة .. ولم يطلق عليهن : سوزي ومونيكا وهايدي !!

وصديقي الذي هاجر أيضا إلى أمريكا منذ الستينات : عبد السلام ابو شحاته واستقر في نيويورك حيث عمل فيها ونجح وجذب معه كل عائلته وأخوته .. وعائلة زوجته وأخوتها ووالدتها ليعيشوا هناك . وأصبح مستشارا للبنك الدولي في اليمن لفترة طويلة ثم عاد إلى نيويورك ليعمل موظفا كبيرا بوزارة العدل الاتحادية . هل تعرفون ماذا أطلق على أولاده ؟ لقد أطلق على ابنته الأولى التي ولدت في حي بروكلين الشهير اسم عبير .. وأطلق على ابنه اسم أحمد !! هل هو أيضا يحاول أن يحصن أولاده من التغريب الذي يعيش فيه المهاجر بالتمسك بالأصول .. رغم أن عبير ، كبرى بناته ، دائما تأتي الأولى في مدرستها وسط الأمريكيات وتكاد لا تتكلم العربية ، إلا فيما ندر ! وانظروا إلى الزوجة السيدة أشجان التي تتمسك بالحجاب وكانت حريصة طوال رحلتي معهم بسيارتهم من نيويورك إلى واشنطون والعودة على الوقوف في استراحات الطرق لتؤدي فريضة الصلاة كلما حان موعدها ، ولم تكن تأبه لنظرات الاستغراب ممن حولها من الأمريكيين . ثم كيف يحرص وزوجته على البحث عن الطعام الشرعي الحلال ، فإذا لم يجداه في أحد المحال التركية ، بحثا عنه ولو في المحلات اليهودية لأن طعام اليهود أيضا حلال للمسلمين . هذا التمسك بالأسماء العربية : الأب والأم والأولاد .. والبحث عن الطعام الحلال أليس كل هذا حرصا على ألا تنقطع صلتهم بالوطن الأم ؟ ..

وانظروا إلى رئيس جمهورية الأرجنتين ــ أقوى جمهوريات

أمريكا الجنوبية ــ السوري الأصل والمولد ، الذي انطلق وراء طموحاته السياسية على مبادئ الحزب البيروني الشعبي الجارف حتى أصبح أبرز أعضائه . وحتى يكمل هذا السوري العربي الأصل أهدافه ويتحقق سعيه وراء كرسي الرئاسة في بيونيس أيرس ، تنازل عن دينه الإسلامي واعتنق المسيحية الكاثوليكية « مذهب أغلبية شعب الأرجنتين » وحتى يحقق حلمه الكبير ليصبح رئيسا للجمهورية ، استجاب للنص الدستوري الذي يشترط أن يكون الرئيس كاثوليكيا رومانيا .. انظروا ــ وهو الذي تخلى عن دينه ــ وقد تسمى باسم كاثوليكي هو كارلوس .. نراه قد احتفظ باسمه الأصلي « منعم » أو عبد المنعم ! وهكذا أصبح اسمه الرسمي كارلوس منعم . وهو أيضا عندما أراد الزواج .. اختار زوجة سورية الأصل ، عربية .. واسمها الرسمي سليمى ، وأغلب الظن أنه كان سلمى أو سليمة وتحور بتأثير اللغة الإسبانية ــ لغة الأرجنتين الرسمية ــ إلى سليمى . وهي رفيقة دربه السياسي وسط المتصارعين على السلطة في دولة لم تعرف الاستقرار السياسي ، وعاشت على الانقلابات وحكم العسكر سنوات عديدة . وحقق السوري العربي كارلوس منعم حلمه السياسي وجلس على عرش الجنرال خوان دومينجو بيرون الذي حكم الأرجنتين 9 سنوات بين عامي 1946 و 1955 . وجلست هي ــ سليمى أو سليمة ــ على عرش إيفا بيرون معبودة الجماهير التي دعمت زوجها بيرون وكانت وراء طول فترة حكمه ، ولما ماتت بالسرطان انطفأ بريق الحكم البيروني ، وسرعان ما سقط .. والغريب أن منافس

كارلوس منعم على السلطة عربي آخر مازال يتمسك باسمه العربي ذي الرنين : علي صلاح الدين ، وهو أعدى أعداء كارلوس منعم !!

ألستم معي في أن المغترب يحاول أن يتمسك بما يربطه بالجذور رغم كل نجاحاته .. بينما المقيم تهفو نفسه إلى الاغتراب . ألا ما أعقد النفس البشرية .

* * *

جيل .. تليفزيونجي !!

لأن كلا منا حمل اسما دون استشارته .. فإن معظمنا يود أن يعرف معنى اسمه وفصله وأصله .. وتلك ظاهرة لا نجدها في لغتنا العربية ، ولا ينفرد بها شعبنا المصري فقط ، بل هي ظاهرة موجودة في كل لغات العالم .. القديمة التي ماتت .. أو التي ظلت على قيد الحياة . ولأن الشعوب تؤثر وتتأثر بغيرها ، وبحكم التواجد التركي الفارسي في مصر فما زالت في قاموسنا كلمات عديدة وأسماء وصفات تعود إلى هذين الشعبين .

مثلا من يعرف الآن أن البخشونجي هو الجنايني .. وهي الكلمة التي كثيرا ما لعب بها كوميديان مصر الكبير فؤاد المهندس حتى أنعم عليه بالباشوية في إحدى مسرحياته . وربما لا يعرف من يحمل اسم الروزنامجي أن هذا الاسم فارسي الأصل . فالروزنامة هي الوثائق والأوراق الرسمية ، ومع بداية عهد الصحافة كانت الروزنامة هي الصحيفة الرسمية التي تنشر أو تعلن الأوامر العليا على الشعب . ويمكن أن يكون الروزنامجي هو حافظ الوثائق ، أو مدير دار المحفوظات في العصر الماضي . أو دار الوثائق الآن . ولأن « جي » الفارسية تعادل ياء النسب عندنا فإننا نجد صفات ومهنا وأسماء مازالت

تحمل هذه الـ « جي » خصوصا الحرف اليدوية القديمة .. فنحن نجد عائلات مثل : المخزنجي . وهم الآن رجال أعمال وإن لم يبتعدوا عن الأصل . لأن المخزنجي هو أمين المخزن أو المسئول عن حماية الإنتاج داخل المخازن . فهو الخازن . وكنا نقول : مكنجي — وهو العامل على « المكنة » وبالذات الأحذية والصناعات الجلدية . ولأن الشيء بالشيء يذكر فنحن نقول : جزمجي أي صانع الأحذية ، ولا أعرف لماذا لم نقل « أحذيجي » هل لثقل هذه على الأذن .. أم لأن الأصل جزمة وجزم ؟

ونقول : أجزجي . أي صانع الأجزة . والأجزة هي المكونات الصغيرة التي يتكون منها الدواء . أي هو بلغة العصر : الصيدلي . ومن « الأجزة » اشتقت كلمة « أجزاخانة » أي مكان الدواء صنعا أو بيعا ، لأن خانة تعني المكان .. وحتى الطرشجي له مكان في أجرومية الأسماء المصرية . وهو بائع الطرشي وصانعه . وإذا كان « اللي عمل مصر كان في الأصل حلواني » فإن أي حي لم يكن يخلو من محل الطرشي أو اللفات أي صانع اللفت . وبالمناسبة لماذا نقول : « نخلل الخيار » ولا نقول « نملح الخيار » أو لماذا نقول « نملح اللفت » ولا نقول « نخلل اللفت » ؟! وبالمناسبة هناك عائلات اللفات والملاح والمالح .. وجزر

ونحن نقول أيضا : حنطرجي أي صاحب الحنطور . وهو غير العربجي وكان الحنطور وسيلة نقل الركاب المرفهين زمان ، وهي غير

مهنة « الحمارة » وكانت هي الأخرى مهنة هامة يعمل فيها الكثير . وكان الحنطور مركوب الكبراء والأثرياء ومنه اشتقت الكارتة أي الحنطور الخاص وكم برع الأجداد في تزيين حناطيرهم الخاصة . وكانت العربة الملكية حنطورا مذهبا مزركشا تجره الخيول الأصيلة المطهمة ، وحولها يجري صفان من الحرس . ولم يفقد الحنطور سطوته ألا بظهور السيارة . وقبلها كانت سوارس عبارة عن خطوط خدمة الركاب وهي عبارة عن عربات خشبية بمظلات وهي تطوير للعربة الكارو تجرها الخيول أو البغال وتسير في خطوط منتظمة ، وكانت التذكرة من القلعة للعتبة .. مليمين !!

وفي القاهرة والأقصر تحول الحنطور إلى وسيلة نقل سياحي يقبل عليها السياح في الأقصر التي أخذت اسمها من كثرة قصورها أي معابدها ويدفعون الأجرة بالدولار . أما في القاهرة وعلى شاطئ جزيرة الزمالك وحول برج القاهرة فإن الأشقاء العرب يعشقون نزهة الحنطور .. ويدفعون فيها 20 جنيها في دورة لا تستغرق ساعة وهذا ليس كثيرا إذا عرفنا أن الحصان يتكلف يوميا أكثر من خمسة جنيهات حتى أصبح دخل « الحنطرجي » أكثر من دخل « التاكسجي !! »

أما الحَمارة فقد انتهى عهدهم منذ زمان وإن كان أحدهم قد تسبب في احتلال الإنجليز لمصر (!!) ومن منا لا يعرف المالطي — القادم من جزيرة مالطة — والحمّار .. صاحب الحمار عندما تشاجرا في أحد شوارع الإسكندرية فانتصر أولاد البلد لمواطنهم .. وكانت

« عركة » أرهبت الأجانب الذين كانوا يكثرون في الإسكندرية ، وتذرعت بريطانيا وفرنسا بحجة عجز الحكومة المصرية عن حماية الأجانب .. وهكذا كانت مشاجرة بين حمَّار ومالطي السبب المباشر لغزو مصر واحتلال الإنجليز لها 75 عاما !!

وللعلم كان الحَمارة يقفون بحميرهم في مواقف ثابتة كمواقف الأتوبيسات الآن ، وإن كانوا يتزاحمون أمام الفنادق أو الخانات الكبرى ، وفي الأحياء التجارية .. رغم أن الأجرة كانت محددة .

ثم نجد : القهوجي .. أي صاحب المقهى أو صبيه .. والمكوجي ونجد من أصحاب الحرف النادرة : القشرجي وهو العامل الماهر الذي يتولى لصق قشرة الخشب .. والاويمجي أي الفنان الذي يحفر على الخشب بالإزميل . وهي حرفة برع فيها الطلاينة ونقلها عنهم الدمايطة ، وتفوقوا فيها . ثم نجد المطبعجي خصوصا مع بدايات عصر الطباعة . وكان المطبعجي عاملا مثقفا وألف رحمة ونور على مخترع الطباعة جوتنبرج ، ولا أعرف ماذا أطلقوا عليه .. ربما : جوتنبرجي !!

وننطلق مع باقي الحرف فنجد التومرجي أي الممرض ونجد رئيسه ، أي الباشتومرجي . والعرضحالجي أي كاتب العرضحال أي الشكوى أو الملتمس . وكانوا نوعا من الكتبة العموميين الذين يجلسون أمام المحاكم والدواوين ليسجلوا للناس شكاواهم للسلطة . ثم نجد الشماشرجي أي رئيس الخدم الخصوصيين للأمراء والحكام ..

وكم عانت مصرمن سطوة شماشرجية القصر الملكي خصوصا أيام الملك فاروق .. ثم نجد الكفتجي أي صانع الكفتة .

وبحكم أنها كلمة فارسية أعجمية ، وبحكم تأثير اللغة والثقافة الفارسية على شعوب وسط وغرب آسيا نجد مثلا كلمة « بنشرجي » وتطلق على لحام كاوتش السيارات . ونجدها على لسان الأفغان والهنود والباكستانيين والبلوش والفرس الإيرانيين في كل دول الخليج والجزيرة العربية .

والغريب أننا استخدمنا ياء النسب هذه « جي » حتى في كلمة السخرية والتندر . فحين نسخر من الشاب « الملعب » أي الذي يلعب بالبيضة والحجر فإننا نقول عنه « أونطجي » من الأونطة .. ومعناها « الحلنجي » وسبحان من فسر الماء بعد الجهد بـ « أوومبو » ثم نطالب رجل المقالب « البرمجي » أن « يبطل بُرم »

وفي العصر الحديث ، وبعد أن دخل التليفزيون عقولنا وجيوبنا قبل عيوننا فنحن نصف الجيل الجديد الشقي بأنه جيل تليفزيونجي .. وأستغرب لماذا لا يقولون : جيل تليفزيوني وهي الأسهل والأقرب .. ربما هو الحنين إلى الماضي حيث الحنطرجي والعرضحالجي والمكنجي والبخشونجي ..

وأقرءوا الموضوع من أوله !!

بيض الوجوه .. سمر الأسماء !

بحر الأسماء المصرية أعمق مما تصورت . ولأن الإنسان لا دخل له باسمه أو دينه فإن كل فرد يحاول أن يعرف الحقيقة ، في الاسم على الأقل . وهل يحمل طرفة أو معنى لم يأت على باله أم أن الاسم جاء هكذا دون أصل ، أو جاء قرار لحظة . وإليكم عينة :

في بورسعيد ودمياط ينتشر اسم « الأسمر » وما هم سمر الوجوه ، هكذا عرفت بعض فروعهم ، بل منهم من هو أبيض الوجه ، أصفر الشعر ، أزرق العينين .. فهل كان الأب في الأصل عربيا أسمر الوجه ، أم كان جنوبيا من الصعيد أو النوبة مثلا ، وهو بالطبع ليس أفريقيا زنجيا ، لأن فاتح لون البشرة من الزنوج كانوا ـــ ومازالوا ـــ يسمونه أبيض أو أسمر . ومن عائلة الأسمر انحدر واحد من أشهر شعراء العربية في العصر الحديث هو الشاعر الدمياطي المبدع محمد الأسمر وعاش جيل العشرينيات حتى الأربعينيات وعاصر ولازم شوامخ العربية من أمثال شوقي وحافظ وكانت له معهم مساجلات كما صادق المازني والعقاد ، ونشر له الزيات كثيرا من شعره في مجلته التي افتقدها الأدب العربي : الرسالة . وللشاعر محمد الأسمر دواوين عديدة رأى بعضها النور .. ومازال بعض إنتاجه محفورا في وجدان جيله ..

والتفرقة باستخدام الألوان في الأسماء ظاهرة غير مقصورة على المصريين ، فإذا وجدنا بينهم عائلات « الأبيض » ، فإن في اليمن قبائل قوية الشكيمة لها سطوتها وشهرتها هي قبائل « الأحمر » وشيوخها لهم صوتهم المسموع في السلم والحرب ، بل يشاركون في الحكم ومنهم الوزراء والقادة . كما نجد عائلة « الأزرق » في سوريا ، وكان منها السفراء . فهل هي في الأولى « بياض البشرة والوجه » . وهل هي في الثانية « حمرة الشعر » أم لون الدماء لما اشتهروا به من أنهم قوم حرب ونزال .. أم هي في الثالثة « زرق العيون » ربما لأصول غير عربية كاختلاط بمحتل صليبي قديم في القرون الوسطى استوطن سوريا وفلسطين ما يزيد على 300 سنة ، أم محتل فرنسي فرض نفسه على الشام (سوريا ولبنان) حوالي 35 عاما !! وبالمناسبة هل تعرفون أن قبائل البربر التي تمتد مناطق استيطانها في الجزائر والمغرب هل تعرفون أنهم بيض الوجوه شقر الشعر زرق العيون ، وهم قبائل قوية الشكيمة تعتلي الجبال وتتحصن بها ، وإذا كانوا تحت زعامة « الكاهنة » قد تصدوا للفتح الإسلامي في شمال أفريقيا ، وهزموا بعض قادة المسلمين وأخروا دخول الشمال الأفريقي في دين الإسلام .. إلا أن دورهم في حركات الاستقلال المعاصرة لا ينسى سواء في المغرب أو الجزائر ، وكانت معاقلهم في جبال الأوراس قلاعا عجز المستعمر الفرنسي عن اجتياحها ، وكانت أقوى معاقل حرب التحرير الجزائرية . وللبربر ـــ خصوصا في المغرب ـــ فنونهم رائعة الأداء . أما غناؤهم « الأمازيج » فيأسر القلب ويغذي الروح ، وعلى

ذكر المغرب يقول أحمد ربيع طاهر الأسمر إنه سمع من الشيخ محمد الأسمر أن جدهم الأول أبا المعاطي الأسمر نزح من المغرب ، وأطلق عليه أبو المعاطي لكثرة عطائه والأسمر للون بشرته ، ثم علموا بعد ذلك أن أصله من تركيا . وقد أطلق عليه والده اسم « ربيع » لأنه ولد في شهر ربيع المكرم ..

وبالمناسبة اتخذ بعض المصريين لأولادهم أسماء الشهور العربية ، إما لفضلها وإما لأنهم ولدوا فيها مثل : رجب . شعبان . رمضان . محرم . ربيع . صفر . والحمد لله أن هذه القاعدة لم تمتد إلى جماد أو جمادى .. أو إلى ذي القعدة حتى لا يقعد الناس عن العمل أكثر مما هم قاعدون .

ولأن المصري ابن نكتة .. فهو أيضا ابن المناسبة .. وهو كذلك ابن الفرح والهناء .. ولذلك يسمى : عيد . عياد . سعد وسعيد ومسعد وسعاد وسعدية والسعدني . وهاني وهنية وهناء .. كأنهم بذلك يحاولون أن يوفروا لأولادهم السعادة والهناء ، وأن يجعلوا كل أيامهم أعيادا !! ومع هذا نجد النقيضين : الحلو والمر . عسل والحادق ، العسال والملاح . الأبيض والأسمر . الطويل وقصير الديل ، وأبو جبل والتل . الحجار والخشاب !!

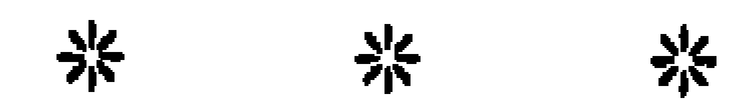
كذلك فإن دولة الفن والأدب مليئة بغرائب وعجائب الأسماء . نجد مثلا : حمامة وحمام ، الأولى هي سيدة الشاشة بلا منازع والثاني محمد حمام المطرب الشعبي عميق الصوت . القط والفار . الأول هو

الأستاذ الدكتور عبد القادر القط أستاذ الأدب العربي ، و الثاني هو حسين الفار وكان كاتبا فكاهيا أمتعنا مع فرقة ساعة لقلبك . الفيل والطائر . الأول كان شيخا من رجال الدين وله قضية مشهورة هو وزميل له في أواخر الخمسينات ، والثاني مؤلف وسيناريست قدم الكثير للفنان عادل إمام .. وهناك السبع والسباع ؛ أولهما الفنان محمد السبع ذو الصوت العميق ، وثانيهما محمود السباع وكان فنانا شاملا : إذاعيا ومخرجا . كاتبا وممثلا . ثم غراب وعصفور الأول لن ينسى هو الأديب القصاص أمين يوسف غراب الكاتب الذي ترك لنا أفلاما رومانسية خالدة نقلا عن رواياته العاطفية . والثاني : الدكتور محمد عصفور القانوني الضليع والمعارض الصلب .

وهناك أسماء ربما يسعى أصحابها للشهرة : نجاح « الموجي » عدلي « كاسب » وأيضا فايز و فايزة وفوزية وفوز .. ولكن البعض يتمادى فيصل إلى « فواز » !!

وبجانب هؤلاء نجد فروعا لعائلات من الدول الشقيقة ذات جذور في بلادها ، ولكن بعض فروعها لأسباب سياسية لجأت إلى مصر تحتمي بترابها فاستقرت . منها مثلا السنوسي في مصر خاصة في الفيوم والصحراء الغربية . والسنوسية طريقة ومذهب وأسلوب في العمل السياسي والديني والتعليمي .. وقد بدأت في أواخر القرن الماضي في الشقيقة ليبيا كطريق للإصلاح الديني والمعيشي مثل الوهابية في شبه الجزيرة العربية ، والسنوسية بدأت كزوايا لتحفيظ

القرآن وتعليم القراءة والكتابة ، ثم قادت حركة النضال السياسي ضد الغزو الطلياني ، كما قادت حركة التنوير ضد الخرافات والجهل . ومن السنوسي الليبي الأصل نجد فرعا مصريا منه الآن عادل السنوسي رئيس نادي اسبورتنج الرياضي بالإسكندرية ، وليس غريبا أن اختار هذا الفرع مدينة الإسكندرية التي يعشقها الأخوة الليبيون بحكم الاتصال الأرضي . ثم نجد عائلة « الميرغني » وأصلها أمير غني وهي عائلة سودانية الأصل اتخذت طريقا ومذهبا وحزبا وسياسة .. ولها أتباع كثيرون في السودان . والميرغني هم أصحاب الختمية ويؤمنون بعمق العلاقات والروابط بين السودان ومصر ، وكانت الختمية هي الدعم الحقيقي للحزب الوطني الاتحادي الذي كان يؤمن بالاتحاد مع مصر ، وللميرغني في مصر قصور وأملاك وشوارع وخط للمترو ، وفروع تحمل اسمهم من بين المصريين !! كما أن للسنوسية نسبا كبيرًا في مصر خصوصا مع عائلة لملوم ، وهي واحدة من أكبر عائلات صعيد مصر .



كل شيء عنيف
في العراق .. حتى الأسماء !

قد يعتقد البعض أن صدام حسين ـــ رئيس العراق ـــ شخص فريد في اسمه . وأنه يستمد سلوكه من معنى اسمه .. ولكن هذا ليس غريبا ولا فريدا ، فأرض الرافدين ـــ دجلة والفرات ـــ حملت على مدى تاريخها الكثير من الأسماء الرقيقة التي تذوب جمالا .. وكما كانت في العراق نعمة وحبور وغزل وزهور كان فيها عصر مجد الإسلام أيام الدولة العباسية فإن فيها أيضا أسماء تنم عن البطش وعشق الدماء ..

ولقد كان الحجاج الثقفي هو أبرز دهاقنة العرب بعد معاوية وعمرو بن العاص .. وعرف هذا السياسي الرهيب كيف يسوس شعب العراق ، ويكفي أن قال فيه داهية العرب عمرو بن العاص : « لو جمعت العرب كل دهاتها وجئنا بالحجاج وحده لفاز عليهم جميعا » .

ولأن الشعوب أسماء وسلوك ، فإن من الشعوب من يجنح إلى السلم ويعشق الهدوء ، ولا يبني إلا في جو الاطمئنان .. هذه الشعوب تفضل الأسماء التي تتوافق مع سلوكها .

• ففي مصر حيث النيل ــ رمز العطاء والنماء ــ يأتي كل عام ــ هادئا ــ في موعد معلوم ، حاملا معه الخير ، هذا الهدوء وهذا الخير المنتظم غير العاصف ، والذي نادرا ما يثور أو يجور ، أو يحطم ما حول مجراه ... هذا الهدوء شربه المصريون مع كل شربة ماء ولذلك نجدهم يعشقون من الأسماء ما يؤكد عرفانهم بالجميل ، وشكرهم للرب العليم الذي قسم الأرزاق .. فأحسن القسمة .: وفي هذا انظروا إلى أسماء المصريين : عبد الباسط ، عبد الشكور . عبد الهادي . عبد الوهاب . عبد العاطي . عبد النعيم . عبد السلام . عبد الحافظ . وانظر إلى المصريين يختارون من باقي أسماء الله الحسنى الأسماء الدالة على السماحة والتعظيم وعلى التكريم فنجد : عبد العظيم . وعبد الرحمن . وعبد الصادق . وعبد العزيز .

• وفي العراق حيث نهرا دجلة والفرات اللذان لا يستقران على حال . وكثيرا ما يجوران على الشواطئ فتغرق القرى وتزول بيوت .. وعروش . ولأن الإنسان ابن لنهره نجد أن العراقيين يعشقون الأسماء الدالة على العنف ، بل هي العنف ذاته .. وانظروا في الأسماء التي يفضلها أبناء العراق : قاسم . وجاسم . غازي .. والكارثة : صدام ! ، بل انظروا ماذا اختاروا من أسماء الله الحسنى ... لقد اختاروا الأسماء الدالة على القسوة . وعلى القوة .. والبطش فنجد هناك : عبد القاهر . عبد القادر . عبد القوي . عبد الجبار . عبد المانع . ونجد عشقهم للأسماء الرافضة مثل : حردان ، ونادرا ، ما نجد أسماء : جمال وجميل ، وسعيد وسعيدة ، بل نجد أسماء : فيصل .

ورغم أنهم « يظهرون » حبهم لآل البيت النبوي الشريف إلا أن الأذى الذي نزل بآل هذا البيت على أيديهم لا حدود له .. حتى ولو استمروا إلى يوم القيامة يحاولون التكفير عما جنت أيديهم وما أنزلوه بأل البيت .

وتعالوا نشاهد عشق المصريين لأل البيت ، هذا العشق الذي جعل من مصر ملجأ ومثوى لأل هذا البيت النبوي الشريف ، وانعكس هذا على الأسماء التي يطلقها المصريون على أولادهم . فليست نكتة مثلا أن نصف المصريين اسمهم « محمد » بل هي حقيقة ، وهذه عينة من أسماء الرجال التي يفضلها أبناء مصر من آل البيت : علي ، حسن ، حسين ، عباس . بل إنهم لا يكتفون بمحمد واحد فنجد محمدين ولا بحسن واحد فيطلقون : حسنين .. ومن أسماء نساء آل البيت يختار أبناء النيل : زينب . عائشة . خديجة .

ألم أقل لكم أن الناس على دين أنهارهم !!

* * *

بين أبو جبل
وأبو النيل .. وأبو حنيك !

لا أعرف ما الذي يفكر فيه المسرحي اللامع الصديق لينين الرملي ، ولا ستالين الرملي .. في اسميهما بعد كل الذي حدث — — في الاتحاد السوفيتي ، وما جرى لأقطاب الشيوعية : لينين وستالين .. وهل يفكر لينين « المصري » وستالين .. المصري أقصد الرملي في تغيير اسميهما ونشر إشهار رسمي بهذا التغيير أو إعلان تبرئة من الاسمين اللذين سقطا من علو شاهق في موسكو ومن تقديس وصل إلى حد الإبقاء على جسد لينين محنطا رغم وفاته عام 1926 ، وتحول إلى مزار يحلم به كل سوفيتي ويقف أياما طويلة .. في طوابير ممتدة حتى يصل دوره إلى حجرة الدفن أو العرض المقدسة ليلقي نظرة على جسده المسجى .. ثم وبعد 65 عاما أخذ قادة الاتحاد السوفيتي الذي لم يعد اتحادا ولا سوفييتيا في إنزال لينين من عرشه وإزالة تماثيله والتفكير جديا في دفن جثمان لينين بجوار أمه المجهولة . كما كان يقول لينين نفسه .. وهل يتسمى لينين المصري باسم أبطال الاتحاد الجدد ، الذين يفكرون جديا في إزالة كل آثار لينين الشيوعي السوفيتي حتى أن مدينة لينينجراد السوفييتية قد عاد إليها اسمها الروسي القيصري الشهير بطرسبورج .

على كل حال لنترك المسرحي اللامع المصري لينين الرملي ونتحدث عن الذين مازالوا على الوفاء لأسمائهم التي تغير مصير رجالها الأصليين ولكنهم مازالوا في مصر مصرين على الاحتفاظ بها . فإذا كان عندنا في مصر من تسمى باسم غاندي الزعيم الهندي العظيم الذي تعلم من مبادئ ثورة 1919 وزعيمها الوفدي سعد زغلول فإن هناك من تسمى باسم هتلر . ربما ليس حبا في هتلر ذاته ولكن كرها في المحتلين الإنجليز . بعد أن خرجت المظاهرات في كل مدن مصر خلال الحرب العالمية الثانية وجيوش ثعلب الصحراء الفيلد مارشال روميل تتقدم نحو الإسكندرية تهتف : تقدم يا روميل . ولكن هتلر « المصري » مازال قائما يتردد اسمه في الأوراق الرسمية ، بل والتصريحات الصحفية ، رغم أنني لم أجد ألمانيا واحدا يحتفظ باسم هتلر . ولم أجد في الموسوعة العالمية معاصرا واحدا في ألمانيا الآن باسم هتلر ولكنه على كل حال وفاء لشخصية عالمية كان كل المصريين ينظرون إليها بإعجاب وتقدير . على أمل أن يخلصهم هتلر بانتصاره على الحلفاء من الاحتلال الإنجليزي لمصر والسودان .

ولكن ـــ على النقيض من هذا ـــ وجدنا من تسمى باسم أحد أقطاب الاحتلال الإنجليزي . وجدنا كرومر « المصري » ورغم أن كرومر هذا ، أو اللورد كرومر كان شخصية كريهة نفسيا لدى كل المصريين بما كان يمثله من جبروت إنجليزي وعنجهية الحاكم الأجنبي الرابض فوق صدور كل المصريين ، إلا أن الرجل كان حقيقة من

كبار المصلحين الذين أضافوا لمصر كثيرا من الإصلاحات خصوصا في مجالات الري والسدود والخزانات ، وامتدت إصلاحاته إلى الفلاح المصري ، وربما كان كل هذا مرده إلى المكاسب التي كان يتوقعها الإنجليز من تحسين حال الفلاح .. وانعكاسات هذا كله على زراعة القطن الذي كانت تشتهيه مصانع ومغازل القطن في يوركشاير ..

ومن منطلق عشق المصريين للأسماء الأسطورية وجدنا من يحمل اسم الفاتح الفارسي قمبيز الرجل الذي أراد غزو مصر بجيوشه فدفنته هو وجيوشه رمال مصر في صحرائها الغربية ، ورغم هذا مازلنا نجد من رجال الأعمال المصريين من يحمل اسم قمبيز .. تماما مثل من يحمل اسم « هاملت » تلك الشخصية الأسطورية التي أبدع نسيجها أديب إنجلترا الأشهر وليم شيكسبير !!

ثم نغوص في أعماق الشخصية المصرية فنجد عشقا غريبا لكل غريب من الأسماء ما زالت تنتشر بيننا . مثلا هذا العشق بأن يجعل الإنسان من نفسه أبا أو والدا لكل غريب .

فهذا الذي جعل من نفسه أبا للخير لم يكتف بالخير كله فصنع من نفسه أبا له . والآخر الذي لم يكتف بعشقه وحبه للعيش فاختار أن يكون « أبا العيش » . ثم أبو العز وأبو حطب . وإذا جاز لنا أن نقبل أبا الوفاء تقديرا للأوفياء فماذا نقول فيمن جعل من نفسه أبا لليل وهل اختار الرجل هذا الاسم ليدلل على جسارته وجرأته وأنه لا يخشى حتى الليل ، أم كان من رجال الليل الأشداء الذين يثيرون

الرعب في عالم الظلام ، وإذا قبلنا جدلا أبا الليل .. فماذا فيمن جعل من « النيل » أبنا له . هذا النهر العظيم الذي هو أطول أنهار الدنيا وصانع مصر وحضارة مصر ، وخير مصر .. وتحسدنا عليه كل الدنيا . ماذا نقول في أبي النيل ، وقد كنا نقبل أن يكون المصري ابنا للنيل وليس أبا له ، وهناك اسم لفيلم مصري شهير هو « ابن النيل » !!

وإذا كنا نعجب من أبي النيل .. فماذا نقول في أبي العز .. وأبي الفضل .. وأبي الذهب .. وأبي المجد .. وأبي النصر . فالأول لم يقنع بالعز وحده .. والثاني لم يشأ أن يقبل بالفضل وحده .. والثالث نصب من نفسه مالكا للذهب كله . أما الآخر فقد أتى بالفخار لنفسه وأصبح صانعا للمجد والأخير جاء بالنصر من ديله فصار أبا للنصر .

ثم الأكثر غرابة : أبو جبل ، كأن الجبل ذاته شيء صغير فجاء من صنعه ونصب نفسه أبا لهذا الجبل ، حتى الكلام وجدنا من جعله ابنا له فوجدنا أباالكلام أزاد .. وهو من المفكرين الإسلاميين المشهورين في شبه القارة الهندية !

وإذا كان إخواننا في فلسطين من عشاق « الأبو » ولهذا وجدنا أباالغد وأبا اللغد .. وأبا سنة إلا أن « أبا حنيك » له حكاية لابد من ذكرها .. فقد شهدت منطقة شرق نهر الأردن ضابطا مغامرا إنجليزيا عمل في خدمة الأمير عبد الله آمير إمارة شرقي الأردن منذ

الثلاثينات ــ الملك عبد الله ابن الشريف حسين شريف مكة بعد ذلك والذي أصبح ملكا للمملكة الأردنية الهاشمية بعد أن ضم لإمارته الصغيرة شرقي الأردن ما استطاع ضمه من أرض الضفة الغربية .

المهم أن هذا الضابط الإنجليزي المغامر وكان اسمه الجنرال جلوب أصبح شخصية أسطورية جنوب بادية الشام كلها ، أي في الأردن . ولأنه برع في التحدث باللغة العربية واللهجة البدوية على وجه الخصوص ، كما كان يتعمد ارتداء الملابس العربية .. هذا الرجل الذي أصبح قائدا للفيلق العربي أي الجيش الأردني أطلقوا عليه « أبا حنيك » لوجود اعوجاج في فكه .. ولهذا كان حديثه يخرج معوجا . وأصبح أبو حنيك شخصية معشوقة لكل البدو المحيطين بنهر الأردن شرقه وغربه وكان محل الثقة المطلقة عند الملك عبد الله .. حتى إن هذا الملك الذي نصبه كل العرب في الحرب العربية ــ الإسرائيلية الأولى 1948 قائدا للجيوش العربية السبعة أعطى قياده هو نفسه للجنرال الإنجليزي جلوب أو أبي حنيك .

فكأننا أعطينا القط مفتاح الكرار . لأن بريطانيا هي صاحبة وعد بلفور الذي أعطى فلسطين لليهود ، وبريطانيا هي التي انسحبت من فلسطين عام 1948 دون أن تعد الفلسطينيين لتسلم أمور بلادهم . ثم جاء العرب عام 1948 ليعطوا لضابط إنجليزي .. قيادة جيوشهم ضد اليهود الإسرائيليين !!

الخلاصة أن « أبا حنيك » هذا كاد يفقد سلطانه بعد وفاة الملك عبد الله وتولي ابنه طلال العرش الأردني ، لولا المؤامرات التي شارك فيها الجنرال جلوب وتم نتيجة لها عزل طلال عن العرش وجيء بابنه حسين بن طلال بن عبد الله بن حسين .. الهاشمي ملكا على الأردن وكان بعد صبيا .

واستمر سلطان « أبي حنيك » وكان مسموع الكلمة ، له السلطان والجاه على مقدرات الجيش العربي الأردني إلى أن كان المد العربي وتصاعد الثورة العربية وتنامي فكرة القومية العربية في مصر وسوريا ولبنان . وتحت ضغط الضباط العرب في الجيش الأردني تم عزل أبي حنيك « الجنرال جلوب » وطرده من الأردن . فعاد إلى بلاده وعكف على كتابة مذكراته التي خرجت بالإنجليزية والعربية لتروي أسرار هذا الرجل ومغامراته وسلطانه ، وهو الرجل الذي سار على طريق لورانس العرب في توغله في أعماق الجزيرة العربية خلال الثورة العربية الأولى ، والثورة على سلطان الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى .. وما بعدها ..

ونستمر مع مسلسل الآباء .. من الغرائب أبو حطب وإن تابعنا جريمة « أبي لهب » الذي نزلت فيه وامرأته سورة كاملة وكيف كان وامرأته يشاركان في تعذيب المسلمين الأوائل وكيف أن مصيرهما إلى النار . ونجد أبا حشيش ، هذا الذي لم يكتف بالحشيش وحده.، ونجد أبا الليف . ولكننا نجد شخصا قانعا هو أبا ليلة الذي اكتفى

بليلة واحدة على عكس أبي الليل كله !! أما الغريب حقا فهو أبو العيد ، وهل حقا كل أيام أسرته أعياد ؟! وهذا أبو فرحة الذي صنع الفرحة كلها .. ثم نصب من نفسه والدا لها .. تماما مثل أبي السعد ، وأبي السعود وأبي النور (!!) أما أبو راية وأبو رية فمقبول أمرهما مثل أبي حرام وأبي فرخة .. أما أبو الفتوح وأبو النجا فتابعان لأبي النصر !!

ونواصل معا مسلسل غرائب الأسماء المصرية في جزئه الثاني .

* * *

الكردي والبصري .. وأحلام الفاتحين !

الشاعرة حياة أبو النصر أرسلت تعاتبني على ماذكرت فيما سبق ، وتقول في رسالة مطولة إن أباالنصر كما جاء في « بحر الأنساب » هو سليل الأشراف ويمتد نسبه إلى الإمام الحسن سبط رسول الله ﷺ . وإن السيدة نفيسة رضي الله عنها هي جدة الأسرة . وتضيف أن آل أبي النصرأصل واحد تشعبوا في الشام والحجاز وجميع محافظات مصر ... وهو أبو النصر سنجر الأجريشي القرشي . وبعيدا عن حكاية الأنساب والأشراف التي تحتاج إلى تحقيق وتدقيق وتأكيد ، فإن من الكتابة ما يؤخذ بعضه بالبساطة والتبسيط ، وحاش لله أن يحمل تهكما كما أحست الشاعرة أبو النصر . وأرجو أن نتقبل جميعا هذا الموضوع الذي قصد منه التخفيف عن المصريين مما يعانونه من ضغوط نفسية عنيفة بسبب المشاكل اليومية .. ثم نعود إلى استكمال حديثنا عن الأسماء المصرية ، وأصولها ومعنى « بعض » الطريف منها .

لأن مصر كانت كعبة الحالمين بالحياة الرضية بحكم ماحباها الله من ثروة وعز ومال .. وماء ، فقد هبط إليها وجاء أناس من كل بقاع الأرض . واستقروا بها وطاب لهم المقام . فقد كانت مفتوحة الأبواب لا ترد مسلما حتى ولو جاء من صقلية أو مالطة .. أو حتى من غزنة

أو جاء من أعالي دجلة والفرات من الأقاليم الكردية !!

فمن الأولى انحدر جوهر « الصقلي » القائد المسلم الذي عمل في بلاط المعز لدين الله الفاطمي رابع خلفاء الدولة الفاطمية .. و « جوهر » هذا هو الذي فتح مصر باسم المعز لتتحول بعد ذلك إلى حاضرة الخلافة الفاطمية وهو الذي أنشأ القاهرة ، حاضرة مصر منذ أكثر من 1000 عام . ونمت وترعرعت القاهرة كدار للخلافة وناطحت دمشق التي كانت عاصمة الدولة الأموية ونافست بغداد التي كانت مقرا وعاصمة للخلافة العباسية ..

ومن الثانية « مالطة » استقرت عائلات عديدة في مصر خصوصا في الإسكندرية غير بعيد عن جزيرتهم الأصلية التي مازال فرسان الصليب يحكمونها منذ استولوا عليها خلال الحروب الصليبية ... ومازال علمهم .. هو نفس علم جمهورية مالطة الحالية .. وعندما اتخذ منها بونابرت محطة لراحة جنوده وبحارة أسطوله وهو في طريقه لغزو مصر عام 1798 اختارها لأنه يعلم أنها لن تقاومه ، وأن فرسانها سوف يرحبون به ، لأن جذورهم فرنسية ، بحكم أن نسبة كبيرة من جنود الحملات الصليبية كانت فرنسية الأصل ، ولكن بعض القادمين من مالطة واستقروا في مصر لم يكتفوا بالإسكندرية ، لأن هناك الآن عائلات توغلت حتى وصلت إلى صعيد مصر ..

ومن « غزنة » جاءت عائلات عديدة . وغزنة هذه حاضرة إسلامية عريقة قامت فيها دولة إسلامية دانت لها بلاد شمال

الهند وباكستان وأفغانستان الحالية ، وامتد نفوذها إلى ما يطلق عليه الآن الجمهوريات السوفيتية الإسلامية . واستطاع محمود الغزنوي منشىء هذه الدولة الغزنوية أن يبسط نفوذه ويمتد بالإسلام إلى أعماق شمال الهند .

ومن غزنة هذه جاء إلى مصر أحد شيوخها ورجال الدين فيها .. وطاب له المقام في مدينة دمياط وعندما توفي أقاموا له مقاما ومسجدا على شاطىء النيل بجوار جمرك وميناء دمياط القديم . ومازال المسجد والمقام قائمين يطلان على النهر العظيم هناك . ومازال له أحفاد هناك يحملون اسم « الغزنوي » وإن كان بعضهم يكتبها أحيانا « الغزناوي » وهذا خطأ إملائيٌ في النسب ..

أما الرابعة ، أي الذين جاءوا مصر سالمين من أعالي دجلة والفرات وهم الأكراد فقد ذكرني بهم حارس مرمى فريق « مصر القومي » لكرة اليد خالد « الكردي » . هذا الفريق الذي تأهل لدورة برشلونة بعد فوزه ببطولة أفريقيا .. ولعل أشهر كردي في العالم كله هو صلاح الدين يوسف بن أيوب منشىء الدولة الأيوبية التي انطلقت من مصر وضمت فلسطين والشام واليمن والحجاز ، وهو البطل القومي الذي صمد في وجه الغزوات الصليبية وحطم أبطالها الأسطوريين واسترد بيت المقدس منهم وحرر المدن والحواضر الإسلامية التي وقعت في أيديهم . والبعض يتحدث عنه كبطل عربي ، وهذا ليس خطأ مطلقا ، لأن العالم الإسلامي ــ وقتها ــ لم يكن يعرف الحدود ولا القوميات فالكل

مسلمون يمكن لأي مبرز منهم أن يصل إلى أعلى سلطة ، حتى ولو كان مملوكا جاء مصر عن طريق النخاسة سواء كان أوروبي الأصل أو روسيا أو آسيويا . أو ضابطا صغيرا من « قولة » ضمن ضباط الجيش العثماني الذي حاول إخراج جيش بونابرت من مصر .

والأكراد قومية قديمة لهم لغتهم وأدبهم وعاداتهم وملابسهم . وهم من السنة . ولا ننسى أن صلاح الدين الأيوبي هو الذي قضى على المذهب الشيعي في مصر عندما أنهى سلطة الخلافة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية وأعاد مصر وكل ممتلكات الدولة الفاطمية إلى حظيرة الخلافة العباسية السنية وأعاد الدعاء إلى الخليفة العباسي ونقش اسمه على « السكة » . والأكراد قوم يتركزون في الأعالي الجبلية في منطقة التخوم بين إيران والاتحاد السوفيتي والعراق وسوريا وتركيا . ومن أبرز زعمائهم في العصر الحديث مصطفى البرزاني وهو من القطاع السوفيتي وشجعته موسكو على إنشاء دولة كردية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ثم سرعان ما تخلت عنه فسقطت الدولة الكردية ولجأ إلى موسكو حتى مات . ويقود الأكراد الآن في القطاع العراقي قطبان هما جلال الطالباني ــ اليساري ــ ومسعود البرزاني . وهما بالمناسبة ينسبان إلى مدينة « برزان » في أكثر المناطق وعورة في الجبال التي تمتد إلى جنوب الاتحاد السوفييتي .

والأكراد مقاتلون شرسون شجعان . قاوموا بعنف السيطرة

الإيرانية . وحاربتهم بغداد ــ بكل توالي حكامها ــ بعنف أشد وحاولوا الانقضاض على سلطة صدام حسين بعد انكساره في حرب الخليج وعندما طاردهم بفلول جيشه لجئوا إلى الشرق حيث إيران .. وإلى الغرب حيث تركيا ، التي سرعان ما طاردتهم وقصفتهم بطائراتها ومدافعها بعد أن اشتمت منهم ميلا إلى إحياء الدولة الكردية .

ولأن مصر أيضا كانت بلادا تفتح ذراعيها لكل وافد مسلما كان أو لاجئا مسيحيا سواء من موارنة الشام أو كاثوليك لبنان .. لأن مصر هذه لم ترد لاجئا أو تبعد قادما ، تجد فيها جذورا لأسر وفدت إليها من كل أقاصي الأرض .

●●فيها الآن العسقلاني . القادم من مدينة عسقلان أو عسقلون كما تكتب باللاتينية وهي مدينة في جنوب فلسطين ووقعت كثيرا في أيدي الصليبيين واستطاع حكام مصر الأيوبيون والمماليك استردادها . ويقال إن رأس سيد الشهداء الحسين بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله قد نقل إليها بعد استشهاده في كربلاء وحمل رأسه إلى دمشق .. ثم ــ حسب روايات عديدة ــ نقل الرأس الشريف ــ إلى مصر حيث دفن في مقامه الشهير .. في المسجد الكبير .. في الحي العريق الذي يحمل اسم : الحسين .

●● وفيها عائلات : البصري ــ أو بصري . ومنهم فروع تحمل اسم « البصرة » والبسرة بالسين والغريب أن هؤلاء الذين جاء جدهم الأكبر من مدينة البصرة ، أشهر مدن جنوب العراق استوطنوا

مدنا بحرية ساحلية . ربما لأنهم أرادوا ألا يبعدوا عن موطنهم الأول حيث شط العرب الذي يلتقي عنده نهرا دجلة والفرات ، وحيث البصرة أكبر موانئ العراق منذ قديم الزمان ومنها خرجت الجيوش العباسية لفتح الهند والسند وبلاد تركب الأفيال ، ومن أشهر حملاتهم التي خرجت من البصرة حملة محمد بن القاسم .. المهم أن الجد الأكبر الذي هبط مصر واستوطنها اختار مناطق تتشابه طبيعتها وجوها مع مدينته الأصلية التي تملك أكبر غابات للنخيل في العالم . من هنا نجد فرعا للعائلة استوطن دكرنس غير بعيدة عن بحيرة المنزلة وهؤلاء يكتبون اسمهم هكذا « البصرة » ومنهم من استوطن مدينة المنزلة التي تحمل البحيرة اسمها ، وهي أكبر بحيرات مصر المالحة ، وهؤلاء يحملون اسم « البسرة » ومنهم زميلنا محمد راغب البسرة المحرر بالوفد والذي لا أعرف لماذا تخلى عن لقب العائلة واكتفى براغب !! ومنهم فرع البصري الذي استوطن الإسكندرية ، ولا أعرف من أي فرع ينحدر « طه بصري » لاعب كرة القدم الشهير في مصر ونادي الزمالك الذي لمع في الستينيات وكان غزالا ماكرا لاعبا مجيدا يعرف طريقه جيدا إلى مرمى الخصم ليسجل أبرع الأهداف سواء لعب لناديه الزمالك .. أو لفريق مصر القومي . المهم أن عائلات : البسرة والبصرة والبصري وبصرى استوطنت مناطق بحيرة تتشابه تماما مع موطن الأجداد الذي انحدروا منه .. من البصرة ، وما أدراك ما البصرة في الأدب والغزل في الفتوحات والشعر ، في الأنهار .. وعذب الفرات !!

غرباء .. ماهم بغرباء !!

استطرادا لنتائج « انفتاح » مصر على كل العالم الإسلامي مما جعلها مطمعًا وأملا ، وحلمًا في الإقامة فيها .. لكل المسلمين من أقصى الشرق الإسلامي حيث وصل الإسلام بالتجارة والقناعة إلى جزر الهند الشرقية حيث جاوة وسومطرة وبروناي ـــ دار السلام ـــ أو وصل بالفتح وحد السيف في الشمال الأفريقي وجنوب حزام الصحراء ..

كانت مصر إذن كعبة الحالمين بالنعيم والثروة فجاءوا إليها ، ونزلوا بها . وحتى يفرق المصري بينهم ، كان يطلق عليهم أسماء المناطق والأوطان التي جاءوا منها . فهذا هو الهندي والعراقي والتركي .. وذاك المغربي والتونسي والجزائري .. وهؤلاء من أبناء جزر البحر المتوسط حيث دانت معظم تلك الجزر للدولة الإسلامية فهذا هو : القبرصلي .. من قبرص . والملطي .. من مالطة . والصقلي .. من صقلية . والجريتلي أو الكريتلي من كريت .. وكان من رجالها خبراء اقتصاد عالميون .. ووزراء للمال والاقتصاد . وها هو ذا بيت الكريتلية العتيق الذي يرمز إلى طراز عظيم من العمارة المصرية المملوكية ، التركية ، وبسبب عظمته

هذه اعتبرته الآثار أثرًا يجب المحافظة عليه وترميمه ، بل ومزارًا لكل من يعشق العمارة القديمة في مصر الإسلامية ..

ولأن القاعدة تقول إن أبناء الموانئ يفضلون الحياة في موان تذكرهم بمواطنهم الأصلية ، وأبناء البوادي يفضلون ألا يبتعدوا كثيرًا عن بواديهم ، نجد في الإسكندرية ودمياط ورشيد والسويس ـــ وهي موانى مصر منذ القدم ـــ من استقروا في الموانئ المحيطة ، أو تلك التي لها تجارة معها .... ففي دمياط : القبرصلي ، والفرماوي . والغزاوي . والعسقلاني واللاذقاني . والفرما كانت « أول » مدخل لمصر من بوابتها الشرقية وغزة كانت أكبر ميناء في جنوب فلسطين حيث تجارة مصر الأساسية كانت مع موانئ شرق البحر المتوسط . وكانت هناك خطوط ملاحة مستمرة مع فلسطين والشام موحدة أو مقسمة حتى اللاذقية قبل خليج الإسكندرونه ـــ اللواء العربي السليب الذي سلخوه عن الوطن العربي نزعًا عن سوريا وقدموه رشوة لتركيا قبيل الحرب العالمية الثانية مباشرة في محاولة لإبعادها عن دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) . ثم يمتد النشاط التجاري المصري مع موانئ شبه جزيرة الأناضول فوجدنا في مصر عائلات جاءت من هناك سواء بالتجارة بين موانيها والموانئ المصرية ، أوبسبب السيادة التركية العثمانية التي استمرت على مصر بين عامي 1517 ، ـــ 1914 . لهذا وجدنا في مصر وبالذات في موانيها الشمالية عائلات : الأزميرلي نسبة إلى ميناء أزمير . والقبرصلي نسبة إلى

قبرص . والسلانكلي نسبة إلى سالونيكا أو سالونيك ولا ننسى علي السلانكلي حاكم رشيد الوطني الذي قاد المقاومة المصرية ضد الغزو الإنجليزي وتمكن مع أبناء رشيد من تحطيم حملة فريزر على مصر عام 1807 . وهناك أيضا عائلات الأرناءوطي .

وقد استوطن التونسي الإسكندرية حتى لا يبعد كثيرًا عن مسقط رأس أجداده ، بل وفضل مرسيليا وهي ميناء فرنسا الأول عندما نفوه عن مصر بسبب هجائه للملك فؤاد ، لأنه يمكنه من مرسيليا هذه أن ينظر إلى الشاطئ الآخر ، الجنوبي ، فيشم رائحة موطنه الأصلي تونس ، أو موطنه الجديد الذي أحبه وولد فيه الإسكندرية ..

وتبدو عملية التخصص واضحة ، فالتونسي يفضل غرب مصر في الإسكندرية والسلانكلي يفضل رشيد ــ أمام موطنه الأصلي ، والقبرصلي يفضل دمياط التي تقع قبالة جزيرته قبرص وكانت لها تجارة رائجة معها سواء في العطارة ولا شهرة تعلو على شهرة الكمون القبرصلي وياميش رمضان .. والغزاوي فضل دمياط واستوطنها لأنها أقرب إلى بلده غزة و لم نجد غزاويا في الإسكندرية مثلا . وهذا المبدأ نجده راسخا مؤكدًا .. فها هي ذي عائلات الهندي تتركز في السويس وفي بورسعيد على أساس أن هذا هو الطريق البحري بين أوروبا والشرق . أو بين إنجلترا والهند التي ظلت درة التاج البريطاني . من هنا كان أمرا عاديا أن ينزل بعض الهنود بالسويس ــ وهي أكبر وأقدم موانئ مصر على

البحر الأحمر منذ كان اسمها « القلزم » وحمل البحر الأحمر ذاته اسمها فأطلق عليه الرومان « بحر القلزم » ولهذا من المؤكد أن عائلة الهندي وفروعها في السويس أقدم من عائلة الهندي وفروعها التي استوطنت بورسعيد بحكم أن الأخيرة مدينة عصرية نشأت مع حفر قناة السويس ، بينما الأولى مدينة قديمة . ولكن إذا كان الأصل قد جاء من الهند .. فهل اتصلت العلاقات بين الفرع والأصل ؟ أم انقطعت بحكم قدرة الشعب المصري العظيمة على هضم أي قادم بحيث يصبح جزءا من نسيج الأمة المصرية سواء جاء من الهند أو تركيا أو تونس أو المغرب .. أو حتى من مالطة !!

واللافت للنظر أن هذه الأسر القديمة أكثر تمسكًا بالاسم القديم ، بل وعشقا له ، ليس للتفرقة بينهم وبين باقي الجسد المصري العظيم ، ولكن للتدليل على أن هذا الشعب قادر على هضم القادم وتحويله إلى جزء من الكيان المصري الصميم .. وهذا يؤكد سر المشاركة العظيمة من هؤلاء الوافدين في العمل السياسي الوطني المصري على مر العصور . وفي الأدب المصري أيضًا .

●● فإذا كان صلاح الدين الأيوبي منشئ الدولة الأيوبية في مصر هو أشهر كردي عرفه العالم .. فإن هذا الرجل هو الذي دافع عن مصر والشرق ضد غزوات أوروبا تحت راية أو ادعاء الصليب ، وأقام دولة عظمى حكمت قلب العالم الإسلامي الذي كان يضم

مصر والشام وفلسطين والحجاز واليمن .. ومن نسل هذا الكردي نجد السلطان الصالح أيوب الذي مات كمدًا عندما سقطت دمياط في أيدي الجيش الفرنسي الصليبي الذي جاء غازيًا مصر بقيادة لويس التاسع .. وأقسم الصالح أيوب أن يقتل قادة وأمراء جيشه الذين تخلوا عن دمياط دون قتال لتسقط في يد لويس عقابًا لهم ولكن المنية لم تمكنه ومات حزنًا عليها . ومن قبله الملك الكامل أخو صلاح الدين الذي قبل تسليم بيت المقدس مقابل استرداد مدينة دمياط .

•• وفي السياسة والحرب أيضًا هذا هو علي السلانكلي حاكم رشيد الذي قاد المقاومة الشعبية ـــ الرسمية المشتركة ، دفاعا عن رشيد وحولها إلى مقبرة لجنود حملة فريزر الإنجليزية التي كانت تحلم بإدخال مصر في السيادة الإنجليزية ، ونجح السلانكلي ابن ميناء سالونيك اليوناني الآن ـــ في صد الحملة الإنجليزية .

•• وفي الأدب كان للغرباء أيضا فضل ، ولكن بعد أن انصهروا في البوتقة المصرية ، أو مصنع الشعوب العظيم الذي أقامته الأمة المصرية فهذا هو أحمد شوقي بك ـــ أمير شعراء العربية في العصر الحديث .. وهو ينحدر من أصول كردية مؤكدة .. وإذا كان شوقي بك قد بدأ مشواره مع الشعر بمدح الأمراء والملوك فكان شاعرًا للقصر ، إلا أن العظمة المصرية أكملت تفاعلها في داخله إذ بمجرد أن نفي إلى الأندلس وذاق مرارة النفي والبعد عن « الوطن » أصبح وطنيًا مصريًا خالصًا فنسج أعذب الأشعار في حب مصر وأصبح

عشقه صبابة حتى أصبح شاعر العربية الأول حتى إن شاعر النيل حافظ إبراهيم كان يغار من مصريته .

●● وإذا كان هذا حال أمير الشعراء فإن أمير الزجالين أيضا لم يكن مصريا خالصا بل وفد أجداده من تونس . هذا الوافد ذابت غربته في عظمة آلة الهضم المصرية العظيمة وأصبح مصريًا لحمًا وعظامًا .. فكرًا وقلمًا بل أصبح أعظم من كتب بالعامية حتى نصبوه أميرًا للزجل والزجالين . إنه : محمود بيرم .. التونسي . وهو الزجال السياسي الذي تصدى للملك فؤاد في عنفوانه بالزجل فنفاه خارج « الجنة المصرية » . وعاش بيرم على أرصفة وفي حواري مرسيليا يحن إلى مصر حتى عاد إليها متسللا بليل ، عاد إلى حضن مصر الدافئ .

هذا الرجل غاص في أعماق الشخصية المصرية ، غاص إلى حيث المصري في حواري مصر وشاركه في همومه اليومية سواء في الصراع ضد القصر فكتب أعظم الأزجال السياسية .. أو في الهموم المعيشية فنسج أعظم الصور حتى وهو يهجو المجلس البلدي الذي يقتسم حتى نصف عائد بائعه الفجل فالنصف لها .. والنصف للمجلس البلدي ! ! .

وكأنما محمود بيرم التونسي أراد بتمسكه بلقبه أن يؤكد أنه وإن كان تونسي المنبت إلا أنه أصبح مصري الهوى والهوية . أراد أن يؤكد أنه لم يعد غريبا ، بل اعترف بفضل « المصرية » عليه . وهذا التونسي كتب أعذب الأغاني لراحلة مصر العظيمة أم كلثوم . بل

هو صاحب فكرة الفوازير منذ قدمها في إذاعة القاهرة في الخمسينات . وكان صحفيا بارعا كتب في صحف مصر العظيمة كالمصري وغيرها .. وتلك عظمة « الآلة المصرية » التي جعلت كل هؤلاء الغرباء مهما كانت منابتهم الأولى .. جعلتهم جزءا من جسد واحد ، وتعبيرًا عن روح واحدة هي الروح المصرية الخالصة ، ولم يبق لكل هؤلاء إلا الذكرى والاسم الذي يتمسكون به ، ليؤكدوا أنهم ــ وإن كانوا من منابت أخرى ــ أنهم مصريون لحمًا ودمًا وفكرًا . وربما لا يعرف واحد منهم من أين جاء بالضبط ، سوى النسب .. وهكذا التحم كل هؤلاء بالجسد المصري البارع : الهندي والتركي والعراقي والشامي والمغربي والتونسي والزناتي والكريتلي والغندقلي والأتربي والنجدي والحلبي والبغدادي والقبرصلي والسلانكلي والأرناءوطي والغزاوي والغزنوي والعسقلاني والبصري والكردي والكركي والحبشي .. وطابور طويل من الذين وفدوا إلى مصر واندمجوا فيها وأصبحوا جزءا من هذا « الكل » المصري العظيم .

* * *

الدولة الخفاجية في العراق .. ومصر !

كثيرون أرسلوا يسألون عن معنى أسمائهم ، ومن أين جاءوا ، أو جاءت . وفي بريدي اليومي عشرات من هذه الرسائل .. وإن كان بعضها يحمل كثيرا من الغرائب ومن المعلومات .. وبعضها يضيف هالات على أسماء أصحابها . وإذا أردت أن أرد ــ بعد بحث ــ عن معاني وأصول كل هذه الأسماء ، فليس أمام « الوفد » إلا أن تمنحني إجازة ــ بمرتب !! ــ أتفرغ خلالها للرد على استفسارات القراء !! ومن بين ما جاءني هذا الأسبوع رسائل من دشوان ــ من الغردقة بالبحر الأحمر ــ وليست شدوان وهي أيضا جزيرة مشهورة أمام المدينة السياحية الأولى في البحر الأحمر ــ الغردقة ــ وغير بعيدة عن جزيرة مجاويش . ويمكن للسائح أن يراهما رأي العين وهو واقف على شاطئ الغردقة ، ولكن بعد أن تسطع الشمس وتذوب الشبورة . ومن سوهاج رسالة من جزيرة شندويل يسأل صاحبها عن أصل اسم عائلة « أبو عجاج » .. وليس أبو حجاج وهل جاء جدها الأكبر من الأراضي المقدسة مع جيش عمرو بن العاص فاتح مصر ؟ . ورسالة أخرى لأحد موظفي بنك الإسكندرية ، ولكن بالجيزة ، يسأل عن مدلول اسم « ابو ناعم »

ويقول إن لهذا الاسم فروعًا في ليبيا والسعودية ..

واخترت أن أرد على رسالة القارئ محمد حسن أحمد خفاجي رئيس وحدة الإيرادات بالإسكندرية . الذي يرى في هذا المسلسل مادة خفيفة تخفف من الأعباء والهموم التي تتراكم فوق الرءوس . وهو يسأل : « من أنا . وما عائلتي .. ومن أي البلدان انحدرت .. فاسمى هو « خفاجي » من محافظة الدقهلية ، ومن مركز شربين بالذات » . وبلدتي تسمى كفر الأطرش وكما علمت ــ والكلام مازال لصاحب الرسالة ــ فإن مسقط رأسي هو محافظة القليوبية . ومن قليوب بالذات .. وإن عائلة خفاجي هذه قادمة إلى مصر من الشام ونظرًا لأن العائلة ــ داخل وخارج مصر ــ تنقسم إلى قسم يدعى « خفاجي » وهو القسم الذي أنتمى إليه .. وأن القسم الثاني يدعى « خفاجة » .. فأرجو إنارة الطريق أمام كل من ينتمي إلى العائلتين ، ومن أي البلاد أتى كل فرع منهما .. وهل هناك أي صلات بينهما وهل تنتمي إلى الخفاجة عامر صاحب القصة الشهيرة في السيرة الهلالية ؟!

ولصاحب الرسالة أقول إنني عثرت في مكتبتي على كتابين يتناولان أصل هذا الاسم ، وهما من إعداد وتأليف الأديب المعروف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي المولود عام 1905 وهما يبحثان في أصل اسم « خفاجي » ويؤصلان نسبها .. يحملان اسم « الدولة الخفاجية .. في التاريخ » . وطبقًا لما يقوله الدكتور خفاجي فقد كان لهذه الأسرة جاه وسلطان ، بل ودولة وإمارة وحكم بدأ قبل الإسلام

وامتد حتى الآن .

« وهم أصحاب دولة عربية قديمة عاشت في العراق ، وامتدت إلى الحلة ، وحلب في الشام . وتوارث ملكها أمراء من البيت الخفاجي لمدة طويلة ، وقد حاربها العباسيون طويًلا .. ثم انتصروا عليها أخيرًا وهزموها وقضوا عليها وعلى قوتها ، فتفرق الخفاجيون من بعد ذلك في شرق الأرض وغربها » .

ويضيف الدكتور خفاجي في كتابيه أنهم « عاشوا بين نجد والعراق ومصر . ملكوا الملك وشيدوا العرش وساسوا الناس بالعدل والشجاعة ، وأنصت التاريخ لهم وفزعت بغداد وأتراك بغداد لقوم لم يقبلوا قط ظلمًا » . وجاء ذكرهم في دائرة المعارف للبستاني (ص 417 ــ 419 ج 7) وفي العقد (ص 226) وفي كامل المبرد (ص276) جاء أن جدهم الأكبر هو خفاجة بن عمر . عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقد تزعم قومه وساد عشيرته ورزق أحد عشر ولدًا هم مالك وخالد وعمرو وكعب ذو النويرة ، ومعاوية ذو القرح ، وحزن ، والأقرع ، وكعب الأصفر ، وعامر ، والوازع ؛ كما يقول النويري . وفي « الأغاني » حتى ص 73 / 10 يضيف إلى هؤلاء عدادا .. وأصبح خفاجة من الشبان والأبطال عزيزي الجانب بين العرب جميعًا . وأصبح أحفاده عنصرًا كبيرًا من العناصر العربية الضخمة التي لها شأن في الجاهلية والإسلام . وصار يطلق على هذه العشيرة الكبيرة ــ كما جاء في نهاية الأرب والسبائك من 43 ــ خفاجة أو الخفاجيون . وجاء في كتب التاريخ والأدب

« وكان لبنيه الدولة في العراق » وقد عاش خفاجة بن عمر قبل ظهور الإسلام وتوفي قبل البعثة بنحو قرن من الزمان . ثم تعددت فروع خفاجة وكثرت أحفاده وطار لهم في أرجاء البلاد العربية حديث وذكر ..

ويقول المؤلف أيضا « نزل بنو خفاجة في وادي بيشه في اليمن . ووادي رنيه ويصب من سراة تهامة . وجاء ذكر آل خفاجة في أمهات كتب الأدب كالأغاني والأمالي ونهاية الأرب ، وصبح الأعشى . وانتقلوا في أخر الأيام إلى العراق والجزيرة وكانت لهم ببادية العراق دولة .. وقال المؤيد صاحب حماة : وهم أمراء العراق من قديم الزمان » . وذكر الحمداني ، كما جاء في صفحة 43 من سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب للبغدادي ، طائفة منهم بالديار المصرية . وينقل عن السمعاني أن بني خفاجة كانوا يسكنون بنواحي الكوفة وينسب إليهم الشاعر الأمير أبو سعيد بن سناق الخفاجي الحلي . وهاجر بعضهم إلى الأندلس . وأن شاعرا من بني خفاجة هاجر مبكرا إلى مصر هو وأولاد أعمامه في عهد عمر بن الخطاب وهو « أبو العيال الخفاجي » وظل بعضهم حتى الآن يقيم ما بين دجلة والفرات ويعيشون الآن في النجف وفي لواء الديوانية وبعضهم في نواحي البصرة في السبخاية .

وأذكر وقد كنت في زيارة للعراق وكان معنا وفد من أعضاء الهيئة العليا للوفد يضم الدكتور محمود السقا والدكتور مدحت خفاجي والدكتور عزت صقر أن فوجئنا بمدخل الفندق الكبير الذي نزلنا به وقد امتلأ بعدد كبير من أهل العراق يرتدون ملابس شتى ..

جاءوا يسألون عن الدكتور مدحت خفاجي بعد أن عرفوا بوجوده بالعراق .. وكانت المفاجأة لي أنهم من زعماء العشيرة الخفاجية جاءوا يرحبون « بابن العشيرة القادم من مصر .. الدكتور مدحت » .

ونعود إلى أصل الخفاجية ، إذا جاء في كتاب « السبائك الذهبية » في أنساب القبائل العربية أن أصلهم من بني عامر المعروفين في الحجاز منذ العصر الجاهلي ، وأول من اشتهر منهم في التاريخ الإسلامي الأمير الخفاجي عامر الملقب بسلطان العراقيين ، وكان قصره الأخضر بين الكبيسة وكربلاء . ومن الفرع الذي استوطن حلب الأمير علي الجوربجي خفاجي و هذا يهم صاحب الرسالة محمد حسن أحمد خفاجي من الإسكندرية الذي يقول إن العائلة جاءت إلى مصر من الشام وجاء على حلب هذه عصر ذهبي كانت فيه عاصمة ملك الحمدانيين .

ونصل إلى فرع توطن دمياط ، وحمل اسم خفاجي « بالياء » فقد ولد فيها الأمير علي خفاجي 1025 هجرية ، التي هاجر إليها أحد أبناء الخفاجية في ظروف مجهولة . وكما يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في كتاب الدولة الخفاجية ص 103 « كانت الصلة بين دمياط وحلب موجودة .. فهناك علماء من دمياط هاجروا إلى حلب ، وعلماء من حلب هاجروا إلى دمياط . ويحدثنا التاريخ عن العلامة الشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي (1106 ــ 1178 هـ) أنه تتلمذ على يد محمد بن محمد البدري الدمياطي .. وكذلك عبد الكافي

الحلبي (1186 هـ) تتلمذ على الشيخ أحمد الدمياطي والشيخ عمر ابن محمد المصري (1136 هـ) الذي هاجر إلى حلب .

في دمياط إذن كان مولد الأمير علي خفاجي وبها أقام وكانت مقرا لأعماله الاقتصادية الكبيرة . وقبل ذلك هاجر إلى دمياط من حلب كثير من الأسر العريقة كأسرة البدري التي منها عبد الله بن محمد البدري المصري (748 هـ) وسواه .

وفي دمياط تزوج الأمير علي من السيدة صافية بنت الشريف أحمد ابن الشريف الحسيب النسيب السيد محمد بن سلامة بن محمد ابن علي بن صلاح الدين اللقيمي عين أعيان دمياط المحروسة . وينتمي إلى عبد القادر الجيلاني الذي ينتمي إلى الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله . وهذا رحل إلى دمياط عام 921 هـ . وأعقب فيها العقب الكثير الموجودين الآن بدمياط . والشريف محمد جد الشريفة صافية كان نائب الشرع الشريف بدمياط . ويورد الدكتور خفاجى في كتابه أسماء النسب لكل العائلة في دمياط وكتب عنهم الجبرتي وعن نسبهم ، ونقل عنه علي مبارك في الخطط التوفيقية ـــ وجاء في الجبرتي اسم « علي بيك الدمياطي وأزمات عام 1157 ص 185 ج 1 » فهل علي بك هذا هو الأمير علي خفاجي ؟

ولا ندري بعد هذا الأمير شيئا آخر من تاريخ الأسرة اللهم إلا ما يشير إليه نسبه الشريف من أنه ولد للأمير ابنه محمد حلبي خفاجي ، وإلا ما نقرأه على هذه اللوحة التاريخية الموجودة في مسجد

ولي الله سيدي محمد البدري بدمياط .. وأنشأه الخواجة محمد والخواجة إبراهيم ولد الحاج يوسف الخفاجي عام 1106 هـ 1694 م وللعلم فإن « خواجة » وهو لفظ تركي معناه الماهر ونجد في تاريخ حلب كثيرا من الشخصيات التي كانت تلقب بهذا اللقب كالإمام الشيخ إبراهيم بن الخواجة قاسم الحلبي الذي ولي قضاء أزمير وتوفي عام 983 هـ والظاهر أن الحاج يوسف خفاجي كان أحد أعمام الأمير علي خفاجي الذين عاشوا في دمياط ، ويؤكد الدكتور محمد خفاجي مؤلف الكتاب أن أسرة الأمير علي هاجرت من حلب واستوطنت دمياط عام 1025 هـ . وأن تاريخ أسرة خفاجي بدمياط يبدأ من نحو ثلاثة قرون ونصف . وأن الحاج يوسف هذا تزوج الحاجة ظهور بنت المرحوم الحاج نصر الدين الطرابلسي وهي أم ابنة الحاج إبراهيم بن يوسف بن محمد خفاجي صاحب الوقفية المذكورة وكان للحاج إبراهيم بنتان شقيقتان لابنه إبراهيم هما حرم ابن عمة الواقف إبراهيم خفاجي ثم حرم فخر أمثاله محمد بن مصطفى العلايلي ..

وهكذا يحق لكل من ينحدر من الأسرة سواء خفاجة أو خفاجي أن يحمل لقب الأمير .

ما رأي فروع الأسرة : في العراق والسعودية واليمن وإيران والشام .. ومصر .. وكان منهم الشعراء والمؤرخون والمحافظون ، والأعيان .. وكبار رجال الشرطة ؟!

بين الزهور والفواكه ..
ودكان العطار !

غرائب عديدة نجدها في أسمائنا المصرية .. فالمصري تطلع للسماء وللأرض ، وما حوله .. واختار أسماءه من كل هذا ..

●● من السماء اختار : شمس وقمر ونجم وكوكب .

●● ومن المصريين من يعشق أسماء الشهور العربية فحمل أسماء : محرم . صفر . ربيع . رجب . شعبان . رمضان . كما تسمى بعض المصريين بأسماء الشهور القبطية ربما لشدة وعمق الوجود المصري القديم فيها . ولهذا وجدنا : هاتور . أمشير . من التقويم الميلادي الجورجي نجد من حمل أسماء يوليو — من يوليوس — وأغسطس وحتى مارس إله الحرب وأكتوبر .. ولكن أحدا لم يتسم باسم إبريل هل لأنه شهر الكذب حتى من قديم الزمان ؟ ولكننا في هذه النقطة بالذات نجد سيدة حملت اسم هذا الشهر ولكنها أمريكية هي إبريل جالاسبي سفيرة أمريكا السابقة بالعراق . التي لم تقل الحقيقة لصدام حسين عشية غزوته البربرية للكويت !!

وكما وجدنا من تسمى بأسماء الشهور الميلادية والهجرية والقبطية .. وجدنا من حمل أسماء أيام الأسبوع .. فوجدنا : خميس وجمعة !!

•• ولأن المصري يحب الأكل وجدنا كثيرين يحملون أسماء الطعام .

•• هناك من يعشق الفاكهة فتسمى بأسماء : عنبة وخوخة وبلحة .. وحتى بطيخة ، وأخيرا وجدنا .. شمامة . كما وجدنا : مشمش مشمشة . وتفاحة . والغريب أن أسماء الفاكهة تطلق دائما على الجنس اللطيف لحلاوته . ولم نجد رجلا يطلق على نفسه أحدها .. وإن وجدنا أخيرا : الشمام . ومن الفاكهة أيضا نجد : البرتقالي . اليوسفي . كرمة .. وهذا الاسم اختاره أمير شعراء العربية أحمد شوقي بك ليطلقه على داره الفخمة على نيل الجيزة من ناحية والمواجهة لحدائق الحيوان من ناحية أخرى .. وهي دار « كرمة ابن هانئ .. » .

•• وهناك من يعشق الخضراوات فوجدنا : قوطة وبامية .. ملوخية ولا نجد شعبا يعرف أكلة شعبية معشوقة لكل المصريين كالملوخية .. ووجدنا فلفل وتصغيره : فليفل . وجزر وكرنبة . وكسبرة ولم يقترب واحد من الكوسة !!

•• وهناك من يعشق إنتاج الأرض الواسعة فوجدنا : رز . الرزاز . قمحة . قميحة . درة . حبة . قمحاوي .

ووجدنا من يفضل المقبلات مما تنتج الأرض مثل : لفت . وصانعه اللفات . وجرجير وفجلة وبصلة وتومة ومن منا لا يعرف مزايا البصل والتوم خصوصا إذا أكلا طازجين فكلاهما مفيد في أعراض تصلب الشرايين وإزالة الدهون وطرد الديدان ، خصوصا إذا تم تناولهما ـــ خصوصا الثوم ـــ على الريق بكوب كامل من المياه بمجرد الاستيقاظ . ولكننا وسط كل هذه المقبلات لم نجد الجعضيض .. ففي حلوق المصريين منه الكثير بسبب سياسات الحكومة والمرار الذي يشربونه منها ومن قراراتها ليلا ونهارا . وإن وجدنا الكزبرى، ولكنه اسم سوري لواحد من الساسة هناك الذين ساهموا في حركة الانفصال وتفكيك « الجمهورية العربية المتحدة » ..

ووجدنا في مصر : كرات . ومنهم من عشق شطة رغم شدتها . ومن الشعوب من لا تستسيغ طعامها دون أن تغرقه بالشطة الهندي الحراقة مثل أشقائنا في الغرب : ليبيا وفي جنوب السودان . حتى يقال إنهم في ليبيا نزعوا أشجار الزيتون وزرعوا الشطة محلها !! ومن السودان جاء واحد من أشهر لاعبي الكرة ولعب للنادي الأهلي زمنا واشتهر بفلايته التي كانت لا تفارقه !! ووجدنا زيتون . وقد أثبت الطب أخيرا أن زيت الزيتون هو أفضل الزيوت لأن الجسم لا يمتصه .

•• ووجدنا من يعشق أسماء الزهور . فوجدنـا وردة .

زهرة . فلة . ياسمين . بل وأبا زهرة ومنهم شيوخ أفاضل وأساتذة للشريعة كعميدهم الشيخ الراحل الكبير محمد أبو زهرة . ومنهم من دخل عالم الفن . ثم توسعت العملية فوجدنا البستاني نفسه . كما وجدنا الزهار . أما القصاص الراحل إبراهيم الورداني فلم يأخذ اسم عائلة من الورد .. بل من قرية وردان حيث تنتسب الأسرة . ولم نجد قرنفلة رغم أنها ملكة الزهور ويعشقونها في أوروبا وأمريكا . وكان أشهر من يزين بها عروة بدلته كل يوم ملك القطن المصري الشهير ... وإن وجدنا القرنفلي .

أما وردة فتصلح للجنسين نجدها على اسم الحلوة جميلة التقاطيع ، زاهية المنظر ناضرة الوجنتين . ونجدها على الرجال ومن ينسى وردة أشهر من لعب كرة القدم واليد والباسكت بول ، وأخيرا مدحت وردة الفنان .

●● ووجدنا من يعشق العطارة والتوابل : الزعفراني ، كمون ، كراوية ، حنظل وكم هي ثمرة شديدة المرارة يصفها العطار الذي ينفذ تذكرة داود الأنطاكي صاحب تذكرة داود والعودة للعلاج بالأعشاب : والحنظل ثمرة في حجم البرتقال توصف وهي جافة لطرد الديدان وتطهير المعدة والأمعاء بعد طحنها وسفها على الريق قبل أي طعام ، وهي كفيلة بسبب مرارتها الشديدة هذه بطرد كل أنواع الديدان .. والكمون له فوائد عديدة وليس مجرد بهار يحسن من طعم الأكل ولكنه يعالج المغص إذا غليته وشربته دون تحلية

بالسكر . وعلاج إذا تناولته مطحونا إذ يساعد على « مسك البطن » أي مقاوم للإسهال ، تماما كمسحوق الخروب وبالمناسبة نجد هناك من يحمل ام خروبة والمسحوق يصنع منه شراب صيفي طيب المذاق غني بالفيتامينات وأحسن ما يجود في سوريا وتركيا . ومن مسحوق الخروب صنع الصيادلة دواء يعالج الإسهال عند الأطفال . وعندما اشتريته لطفلي منذ سنوات اكتشفت لماذا كانت أمهاتنا تهدينا كل صباح بقرن من الخروب ونحن صغار ..

ووجدنا اسم : كراوية ، وللكراوية مزايا في تجلية الصوت للمطربين حتى لا يصبح أحدهم كمطرب « الأخبار » الشهير يتلقى الصفعات في ختام كل حفل ، لأنها تلين الحبال الصوتية وكان مطربنا الراحل الكبير كروان الشرق محمد عبد الوهاب يشرب الكراوية كل مساء ، كما كان يشرب كوبا من الشيح كل صباح ، فالشيح ـــ وهو أنواع ولكل نوع مزاياه ـــ كان يغسل المعدة والأمعاء ويطرد الغازات . ولأن الكراوية طاردة للكحة وزيتها ملين للخروج .. نجدها تتعارض تماما مع الفلفل والشطة !!

وبحكم التزاوج والترابط بين كل سكان المنطقة نجد التداخل في العائلات .. مثلا في مصر نجد عائلة دهموش ومنها أطباء ممتازون ورجال صناعة ولكن هل هناك علاقة بينهم وبين أحمد دهمش وزير الإعلام اليمني السابق .. علما أن هناك تشابها في التقاطيع . وإن كان هذا ممكنا بحكم أن أهل اليمن يعتبرون أنفسهم أجداد كل العرب ،

ومنهم خرجوا إلى أقصى الشرق حتى وصلوا ــ كتجار ــ إلى جزر الهند الشرقية في جاوة وسومطرة وهناك في جاكرتا العطاس وزير خارجية أندونيسيا ــ كما في اليمن وزراء من أسرة العطاس !!

وإذا كنا قد وجدنا « المصري » رئيسا لوزراء الأردن فإن في المغرب « العراقي » رئيسا للوزراء ..

وفي سلطنة عمان عبد العزيز الرواس وزير نشط ومثقف للإعلام .. وفي مصر أسرة الرواس .. فهل هناك صلة تربط بين الأسرتين ؟! ونفس السؤال حول أسرة سعودي فالبعض يعتقد أنها أسرة سعودية انحدرت من شبه الجزيرة العربية .. بينما هي أسرة مصرية صميمة اشتغلت بالتجارة والزراعة ..

والحديث يطول ويطول .. فالكل يعشق اسمه .. وإن كان يبحث عن أصله وفصله .

* * *

واشتعلت الحرب
بين بحري والصعيد !

ثلاث رسائل أتوقف عندها ، ثم أكمل حديث الغرائب :

•• الرسالة الأولى من الدكتور عاطف جودة حسين المدرس المساعد بطب الزقازيق ، وهو من أصدقاء الغرائب الدائمين ، يعلق على إطلاق ما يؤكل على أسماء الناس فيضيف أن هناك « كشك » ولعل أشهر من حملوا هذا الاسم الداعية الإسلامي عبد الحميد كشك ، والصحفي الكبير محمد جلال كشك صاحب كتاب « ودخلت الخيل الأزهر »

ـــ وأضيف أنا أن الأستاذ جلالا له مؤلفات أخرى عديدة بداية من بارونات النفط .. إلى ما دار حول المسيرة الخضراء في المغرب ـــ والكشك كان يصنع في الريف « زمان » على مرق الإوز والبط السمين .. وهناك عائلة « ملوخية » ومنهم المستشار عبد العزيز ملوخية . وفي بورسعيد عائلة « قوطة » ومنهم النائب عبد الوهاب قوطة ، وعلى ذكر بورسعيد هناك عائلة شهيرة هي عائلة لهيطة .. ترى هل تعلم أصلهم .. ؟

ويضيف صاحب الرسالة : وفي العصلوجي بجوار الزقازيق عائلة « عسل » ومنهم الأديب عمر عسل . وبها أيضا على ذكر العسل عائلة

نحلة ومنهم الأخ السيد نحلة عضو لجنة الوفد بالزقازيق .

أي اجتمع العسل والنحل في منطقة واحدة . وأضيف من عندي أنه توجد أيضا عائلة عسل في دمياط وفي غيرها . بل ممن حمل اسم « عسل » عائلات مسلمة .. وأخرى مسيحية وربما لا علاقة بينها جميعا إلا العسل .. وللأسف تتعرض مناحل مصر لكارثة قومية تصيب النحل المصري بضربة خطيرة تقتله ، وقيل إن وراءها أصابع إسرائيلية وإن بعضها بسبب المبيدات المستخدمة في مقاومة الآفات الزراعية ..

وفي الرسالة أيضا يتحدث صاحبها عن قريته كوم حلين من أعمال منيا القمح حيث توجد عائلة عدس ويشتهر أفرادها بالصلابة والقوة ، ولعلها تذكرك بالمليونير اليهودي عدس صاحب المحلات المشهورة باسمه .. ومن عندي أقول إن داود عدس اليهودي أنشأ سلسلة محلاته في بداية القرن الحالي لينافس بها غريمه في نفس الوقت سليم وشقيقه سمعان « صيدناوي » والبعض يعرف خطأ أنهما أيضا يهوديان ولكنهما لم يكونا كذلك بل لبنانيين من مدينة صيدا الميناء الشهير في جنوب لبنان .

ويضيف الدكتور عاطف : وفي منيا القمح ــ وهو شرقاوي متعصب كما يبدو ــ عائلة « سمن » وفي القاهرة هناك عائلة « لقمة » ، وفي عالم الكرة كثير من الأسماء المأخوذه من الأكل مثل « البوري » لاعب الأوليمبي ومنتخب مصر السابق و « الرومي » لاعب الإسماعيلي ورزة لاعب السكة الحديد وحمدي « مكرونة » أخصائي العلاج الطبيعي ..

وطبعا دول لا بد لهم من « الطباخ » لاعب القناة السابق !! ولأن مصر ـــ كما قال محمود السعدني ـــ « هبة الفول » فهناك الكثير من الأسماء مرتبطة به مثل « أبو فول » وهو عضو مجلس الشعب من الشرقية ، والفوال مثل أستاذنا الفوال مندور أستاذ الأشعة بطب الزقازيق ، والمدمس . ولأن المصريين يعشقون أيضا لحوم الطيور نجد عائلات أبو فرخة والبطاوي مثل الأستاذ الدكتور يحيى البطاوي عميد قصر العيني السابق ..

●● الرسالة الثانية من الصعيد : من إبراهيم دسوقي محمود المدرس المساعد أيضا بجامعة المنيا ولكن قسم جغرافيا يقول في رسالته : نتابع « لكل المصريين » وموضوع غرائب الأسماء لأنها تتناول أصول الأسماء وهويتها ومدلولاتها خاصة أنه موضوع طريف وجاد في نفس الوقت ، يبعدنا قليلا عن صلف إسرائيل وغرورها وهَمّ الشعب العراقي وتكاليف الدورة الإفريقية وعودة الجوهري ! المهم أن هذا الموضوع علم قائم بذاته يعرف باسم « TOPONYMY » التوبونيمي ويهتم به أمثالنا من دارسي الجغرافيا الحضارية والتاريخية ، وكذلك الأثريين والمؤرخين فضلا عن اللغويين ، وأيضا علماء الأنثربولوجيا ، ويعني أساسا البحث في أصول الأسماء واشتقاقاتها سواء أسماء أماكن كانت أم أفرادا أو جماعات . وتأتي أهمية هذه الدراسة فيما تعكسه هذه المسميات من دلالات خاصة لها أهميتها في معرفة أصول ونشأة المدن والقرى ،

بالإضافة إلى الكشف عن ملامح الحضارات القديمة . ويمكن من خلال هذه الدراسات تتبع تاريخ المحلات العمرانية ، والتوصل إلى مبرر نشأتها وميزة مواضعها . وهذا ما أفعله ـــ صاحب الرسالة ـــ حاليا في دراستي للدكتوراه عن وضع جنوب الصعيد خلال الفترة العربية [من وفود قبائل عربية ونشأة محلات عمرانية] فتعتبر دراستي لأسماء المحلات والجماعات العربية الوافدة من أهم مفاتيح الدراسة للكشف عن وضع الصعيد الجنوبي خلال هذه الفترة الأيوبية ـــ المملوكية .

ويضيف صاحب الرسالة : ويكون توزيع هذه الأسماء ودراستها وتصنيفها تحليلا لشخصية الإقليم ، ومحاولة لفهم ما يسمى بعمليات الترانسفير « TRANSFER » وهي عمليات انتقال الأسماء ذات الأصول المعينة عن طريق هجرة وانتقال الجماعات من مكان لآخر .

واختتم الباحث إبراهيم دسوقي محمود رسالته بأن الموضوع « لا تكفيه رسالة بريدية وإنما تغطيه رسالة جامعية وسوف أوافيك بمجرد انتهائي بفصل كامل من الرسالة خاص بهذا الموضوع ، ولكن أبدي ملاحظة لم تغفلها وهي أن كثرة الأسماء وتداخلها يجب أن يؤخذ بشيء من الحذر لكثرة الخلط والتحريف وأحيانا التضليل خاصة في موضوع النسب لكثير من القبائل والعائلات الوافدة من الجزيرة العربية أو الشام وحتى بلاد المغرب العربي » .

ويقترح أن نكمل هذا الموضوع بعد ذلك في حلقات عن دلالات أسماء المدن المصرية وكذلك قراها لأنه ـــ كما يقول ـــ من أجمل

الموضوعات ومكمل لدلالات أسماء الأشخاص والجماعات وسوف نرى نتائج مذهلة عندما نربط بين دلالات أسماء الأماكن مع أسماء الأشخاص ..

ولي هنا ملاحظتان ؛الأولى فيما يتعلق بأسماء المدن والقرى فقد قلت أكثر من مرة : إن هذا هو موضوع دراستي .. بعد الانتهاء من دراستي الحالية عن غرائب الأسماء المصرية ، وهذا وعد مني ولكن ماذا أفعل والعمل الصحفي المصري يحول بيني الآن .. وبين إتمامها لأنها تحتاج إلى قراءات ودراسات وتنقيبات .. والملاحظة الثانية .. أن ما أنشره الآن من غرائب الأسماء هو الجزء الثاني ، بعد الجزء الأول الذي استغرق نشره ما يقرب من عام ، ولكن ألم يكتشف الباحث الشاب أن اسمه يحتاج إلى تفسير خصوصا العلاقة بين إبراهيم .. ودسوقي .. ومحمود . وأنه إن كان في جنوب الصعيد ، فإن عليه أن يعلم أنه إذا ذكر — في وسط دلتا مصر — إسم إبراهيم .. تبعه اسم الدسوقي تيمنا بسيدي إبراهيم الدسوقي صاحب المقام « المحمود » الذي يزوره الآلاف كل عام على شاطئ النيل فرع رشيد عند مدينة دسوق !!

●● الرسالة الثالثة من الصعيد أيضا ، ولكن الجواني . فالمواطن المهندس حسن أبو عجاج من جزيرة شندويل بسوهاج أرسل يهجوني بكلمات عنيفة ويتهمني بأنني لا أرد إلا على رسائل أولاد بحري وأتجاهل أولاد قبلي ، كل هذا لأنني لم أستطع أن أرد وأفسر له معنى اسم

« أبو عجاج » وكأن تحت يدي مفاتيح المغاليق من الأسماء ، أو تحت يدي « كمبيوتر » فيه معاني كل الأسماء مخزنة وما عليّ إلا الضغط على زر فتنهمر عليّ المعاني المطلوبة ولا يعلم أن ما أقوم به من دراسة أمر غير مسبوق وهو مجرد اجتهادات وحصيلة قراءات لسنوات عمري تتجاوز الخمسين عاما دون مراجع أو مستندات . ولكن ما يؤلمني أننا هكذا نحن معشر المصريين دائما ما نحول الأمور الصغيرة إلى قضايا عامة .. بل ومشاكل لها أصول وجذور .

يقول المهندس حسن أبو عجاج : كنت قد أرسلت خطابا أرجو فيه توضيح أصل كلمة « أبو عجاج » وهي العائلة التي أتشرف بالانتساب إليها . ولكن لم يحدث أي توضيح سوى أنك ذكرت أن قارئا من سوهاج ـــ جزيرة شندويل ـــ أرسل خطابا يطلب معرفة أصل كلمة أبي عجاج ، ومن أين وصلوا ؟!

ويواصل صاحب الرسالة رسالته : كنت أظن لفترة قصيرة أن مصر بلد واحد ولا فرق بين شمال وجنوب [!!] أي بمعنى الكلمة وبتوضيح أكثر لا فرق بين صعيدي وبحراوي ـــ أهل الدلتا ـــ ولكن للأسف خاب ظني لأنك مثل جميع كتاب الصحف حدود مصر بالنسبة لكم تنتهي عند الجيزة جنوبا ..

وتمضي الرسالة : هذا الموقف أثبت لي فعلا ما نردده نحن أهل الصعيد أن هذا الجزء من مصركم مهمل في كل شيء .. وفضلت أن تفيض وتزيد في رسالة رجل من أهل الشمال ولم توضح أي شيء

عن ثلاث رسائل جميعها من الصعيد (سوهاج . جيزة . بحر أحمر) !!

وبعيدا عن الألفاظ الجارحة التي أكثر من رصها أبو عجاج لا أعرف من أين أتى « الأخ الصعيدي » بهذا التفسير الذي لم أعرفه إلا من رسالته . ثم حول قضية الأسماء وغرائبها إلى قضية سياسية دخلت فيها أوروبا وأمريكا والكويت والعراق والإعلام المصري وصحف الحكومة وصحف المعارضة ..

وكل هذا لأنني لم أكتب عن أصل اسمه ومن أين جاء ، خلال أيام معدودة .. وكأنني أبو العريف ..

يا سيدي يا ابن شندويل أعدك ـــ رغم اتهاماتك ـــ بتحقيق اسمك والكتابة عنه ، عندما أجد ما يشفي غليلك ، وأعثر ـــ بعد جهد ـــ على معنى هذا الاسم ولا تجعل من الحبة قبة ويتحول أبو عجاج إلى قضية سياسية وتفرقة عنصرية صعيدية بحراوية . وبالمناسبة هل تعرف معنى اسم شندويل .. أو حتى اسم سوهاج !! إذا عرفت فأرسل رسالتك للباحث الجغرافي إبراهيم دسوقي محمود فربما يجيبك وهو يبحث عن أصول الأسماء في جنوب الصعيد !! وهو على بعد خطوات منك .. في المنيا .

بيرم .. وهموم
شاب في الأربعين !

رحم الله أمير الزجالين وفارس العامية : محمود بيرم التونسي إذ أجدني مشدودا إلى أزجاله وقوافيه ، ومقاومته التي لا يعرف عنها جيل اليوم شيئا . وهي إن أعاد هذا الجيل قراءتها لاكتشف فيها نفسه ، وهمومه ، ومشاكله وبلاويه .. وكلما أعدت قراءة بيرم التونسي اكتشفت كيف كان الرواد يعيشون هموم الناس ، ومعاناتهم اليومية .. وكيف عبروا عنها خير تعبير .. بينما الكثرة من أدباء اليوم بعيدون عن متاعب الشباب .. وعن تصوير أي بؤس ، وأي فراغ يجترون فيه عمرهم .

ولم يترك بيرم موضوعا إلا طرقه ؛ لأنه كان ابن الحارة وابن الزقاق . وابن المعاناة والألم . فعبر عن آلام كل المصريين .. تصدى للسلطة بلاذع الكلام فنفاه الملك فؤاد .. وحمل هموم البسطاء فوضعه كل المصريين في حبات العيون . ومن هنا كان انحياز بيرم للناس .. ألهب ظهور السلطة والسلطان بسياط من أزجاله فحاربته السلطة وطارده السلطان . وكانت النتيجة أن أحاطه سور هائل من قلوب الناس حماه من بطش الملك عندما عاد متخفيا بليل إلى الوطن الذي عشقه .. وإلى الناس الذين دافع عنهم ..

وإذا كان « المصري » الآن يشكو من الرزاز وضرائبه ودمغاته وضريبة مبيعاته حتى أن « الرزاز » يشارك كل مصري الآن فيما يأكله .. فإن بيرم التونسي تصدى « لرزاز زمانه » رافضا سطوته ، ومشاركته لكل المصريين فيما يبيعون ويكسبون . وفي هذا المقام تأتي قصيدته المشهورة « المجلس البلدي » الذي كان يفرض الضرائب على الناس ، حتى تحولت الضرائب التي كان يفرضها إلى نوع من الاغتصاب . تعالوا بنا نقرأ ونتعجب ، حتى نقارن بين ما قاله زمان .. في رزاز زمان ، وما يقوله ساخرنا المعاصر أحمد رجب ويرسمه بريشته اللاذعة مصطفى حسين في رزاز هذا الزمان .. على أن نضع في الاعتبار أن ما كان يقصده بيرم بالمجلس البلدي ماكان إلا الرمز لما يرفضه من سطوة الحكومة وضرائبها المرفوضة .. تماما كما أن ما يقصده الثنائي أحمد رجب ـ مصطفى حسين ، ليس المقصود به الدكتور محمد الرزاز وزير المالية الحالي لذاته .

يقول بيرم مصورا ما تفرضه الدولة من ضرائب :

قد أوقع القلب في الأشجان والكمد
لي حبيب يسمى المجلس البلدي
ما شرد النوم عن جفني القريح سوى
طيف الخيال ، خيال المجلس البلدي
إذا الرغيف أتى فالنصف آكله
والنصف أتركه للمجلس البلدي

وإن جلست فجيبي لست أتركه
خوف اللصوص وخوف المجلس البلدي
وما كسوت عيالي في الشتاء ولا
في الصيف إلا كسوت المجلس البلدي
كـأن أمـي بـلَّ الله تـربتها
أوصت فقالت أخوك المجلس البلدي
أخشى الزواج فإن يوم الزواج أتى
يبقى عروسي صديقي المجلس البلدي
وربما وهب الرحمن لي ولـدا
في بطنها يدعيه المجلس البلـدي
يا بائع الفجـل بـالمليم واحـدة
كم للعيال وكم للمجلس البلدي

ويتحول بيرم إلى سيف بتار ، وإلى قلم يصور كل هموم المصريين ، إلى صحيفة وآلة تصور بلاوي الناس . ها هو ذا مثلا يصف طفح المجاري في الحواري :

حارتنـا زينـة الحواري   في وسطها نهر جـاري
بـفضل مجلس بلدنـا   وفضل فـيض المجاري
وجدنا حوض للسباحـة   علـم ولادنـا الصراحـة

ولأنني سوف أعود بدراسة لأعمال هذا الزجال العظيم قريبا ، وأردت فقط أن أفتح عيون أدباء مصر وحملة أقلامها على ما كان يؤديه أمير الزجالين وفارس العامية معبرا عن هموم كل المصريين ،

فإنني أدخل مباشرة إلى هموم المصريين في آخر القرن العشرين وأترك هموم المصريين في بداية القرن العشرين فليست لي ملكة بيرم ... ولا تمكن بيرم ...

وعن المصريين في هذا الزمان أتناول هموم الشباب . والشهادة والوظيفة .. والزواج وقد أثار هذا الحديث إعلان نشرته أمس محافظة الإسكندرية « أيضا » يحمل هدية لشبابها المقبل على الزواج .

يقول الإعلان بالنص « ولدي. ابنتي . إذا كنت من أبناء محافظة الإسكندرية وعمرك لا يقل عن 25 سنة ولا يتجاوز 42 سنة وتزوج منذ عام 1987 أو خاطب ومقبل على الزواج ، ادفع من 1500 جنيه إلى 2500 جنيه واستلم فورا وحدة سكنية غرفتين وصالة .. والباقي على 30 سنة .. مع تمنيات محافظتكم بحياة سعيدة !! » وعلامات التعجب من عندي !!

وهذا الإعلان إدانة لكل المسئولين عما يعانيه شباب مصر .. فهو اعتراف بأن هناك من يصل إلى سن 42 سنة .. دون أن يتزوج ، أو يدخل دنيا .. ولكن الإعلان لم يحل مشكلة المقدم .. و لم يناقش قضية باقي الثمن .. وتعالوا نحسبها :

•• يتخرج الشاب بعد دراسة وتعليم تمتد إلى 18 سنة إذا لم يرسب سنة واحدة طوال مشوار التعليم . ويعلم الله كم يتكلف هذا المشوار . ثم يفاجأ الشاب بأن الباب مغلق أمامه . وعليه الانتظار مدة لا تقل عن خمس سنوات حتى تحن عليه الحكومة وترسل له خطاب الدخول إلى جنة الوظيفة ، ويفاجأ الشاب بأن هذه الوظيفة

تعني راتبا يدور بين 60 و 80 جنيها شهريا . فإذا كان الشاب قد استطاع أن يحمي نفسه ويحصنها من الانحراف طوال انتظاره لخطاب التعيين ، فإنه لا يعرف كيف يبدأ مشواره العملي بهذا الراتب الذي لا يكفيه لشراء بنطلون وقميص جديدين يتسلم بهما وظيفته الجديدة .. أما ثمن الحذاء والشراب فعليه تدبير قيمتهما ... وعليه أيضا تدبير تكاليف ذهابه إلى محل عمله والعودة .. وثمن كوب الشاي وساندويتش الفول الصباحي . أما وجبة الغذاء .. فمازال البيت يتحملها ..

•• ويفكر الشاب في الزواج . فقد تجاوز عمره الثلاثين ، وعليه أن يحمي نفسه ويعصمها من الزلل . ويلتقي ببنت الحلال . ويكتشف أن الشبكة ليست مجرد عمل رمزي : دبلتين وربما خاتم معهما . بل أصبحت الشبكة بالشيء الفلاني . ويحسبها الشاب .. كم راتبه . وكم يمكنه أن يدخر . وكم عاما يحتاج حتى ينجح في تحقيق حلم شراء الشبكة .

•• فإذا أعانه الله وكان صالحا وتم تدبير قيمة الشبكة فإن عليه تدبير قيمة المهر . وهي عقبة رهيبة خصوصا مع التهاب أسعار الأثاث وكم يتكلف جهاز بيت الزوجية . وأيهما أفضل : أن يدفع مهرا ويخلص نفسه .. أم يشترك مع عروسه في تجهيز البيت .. فكم سنة ينتظر حتى يعتمد على نفسه ويوقف اعتماده على الأهل ؟ وكم ينتظر حتى يخطب ويقدم الشبكة ؟ وكم ينتظر حتى يدبر المهر ويعقد قرانه ؟ ثم كم ينتظر حتى يساهم في فرش الشقة .. ثم بعد هذا كم ينتظر ـــ بل قبل هذا ـــ كم ينتظر حتى يدبر أمر الشقة ؟

•• فإذا استطاع تدبير المقدم المطلوب ـ في الإعلان ـ فهل يستطيع سداد القسط الشهري الذي يستمر لمدة 30 عاما في فترة هو مضطر فيها لسداد أقساط ما اشتراه بالتقسيط أو اقترضه من الأهل والأصدقاء ؟ وكيف يواجه ـ مع كل هذه الأعباء ـ تكاليف الحياة هو ورفيقة حياته ومعهما طفل واحد يعلم كل الآباء كم يتكلف إذا مرض أو التهبت اللوز أو أصابته نزلة إسهال ، أو برد .. وكم يتكلف إذا اشتد عوده ودخل المدرسة بعد أن يحل مشاكل السن باليوم والأسبوع والشهر .. وبعدها يدخل في دوامة الملابس والتبرعات .. والدروس والكتاب الخارجي ..

إنها مأساة شباب اليوم . المعذورين بابتعادهم عن الزواج . وهي قضية خطيرة نتابعها في رعب بعد أن ارتفع سن الزواج إلى ما فوق الأربعين .

هي بلا شك هموم شباب اليوم ، بل من أسباب انحرافهم عن الحلال . وهي أم الكبائر ـ تلك الهموم ـ التي تقف بين الشباب والحلال .. أو بين الطموح والأحلام . وقد كان جيلنا يحلم ويطمح لأن المستقبل ـ أي مستقبل ـ كان يحمل لنا من الخير أكثر مما يحمل لشباب اليوم .

أحلام الشباب ضاعت بين سرقات الكبار .. وانحرافات من يقرأ عنهم من المسئولين . بين تجار الموت والهباشين . بين من يسرقون عمر شبابنا من خلال شمة أو غرسة حقنة يجري وراءها البعض

لينسى ، أو يحاول أن ينسى . وبين تجار الموت وسرقات الكبار انهارت القيم ، وذهب إلى الأبد جيل العباقرة الذين صنعوا أنفسهم بأنفسهم وحققوا أحلامهم .. وعشنا جيل كمبورة وعبده مشتاق .. وبتاع الفراخ وعلف الفراخ والردة لزوم علف الفراخ .

أين بيرم التونسي ليعبر عن آلام شباب هذا الزمان ، بعد أن عبر خير تعبير عن آلام شباب الأجداد في مطلع القرن .. وكم هو فظيع ما حدث في الخمسين سنة الأخيرة ، في النصف الأخير من القرن الحالي .

وإلى أن يظهر بيرم الجديد .. تعالوا معنا لنغوص في بحر الألم الذي عاشه بيرم القديم .. وصوره بيرم القديم : في الحياة .. والسياسة . في السلطة والاشتراكية .. في المقامات .. وفي « رزاز » زمان الماضي في المجلس البلدي !!

* * *

هموم مصرية

كم في مصر من الغرائب ، وكم فيها من المتناقضات . يجتمع فيها كل غريب إلى درجة أن تتحول إلى حكايات تروى ، وتجري مجرى الأمثال ! لم لا والمصري يفرح يوما واحدا .. ويحزن 40 يوما ، وهو نفسه الذي يقدس الموت أكثر مما يحتفل بالحياة !!

والحديث عن الموت يجرنا — بالضرورة — إلى حديث التفاخر به والإعلان عنه . وليس أكثر إعلانا مما نراه في صفحات الجرائد اليومية من الاهتمام بنشر « أخبار الوفيات » حتى ولو جاءت على شكل أعمدة النعي ، والمشاركة في النعي .. وأعمدة العزاء ، والمشاطرة فيه من الأقارب والمعارف ..

وأخذت ظاهرة « الإعلان عن الموت » تتصاعد من مجرد سطور قليلة تحوي فقط اسم الراحل العزيز وربما صفته أو وظيفته .. إلى أن أصبح خبر الإعلان عن الموت يحتل نصف عمود .. وتصاعدت العملية « الإعلانية » حتى وصلت إلى العمود الكامل . وتحولت من « إعلام بالموت » إلى « إعلان بالموت » وسارت هذه الظاهرة زمنا بل وسارت في السنوات الأخيرة .. ولكن مع تطور الإمكانيات المادية للمجتمع الجديد تحولت الحكاية كلها إلى « التباهي بالموت »

وأصبحت القضية وكأنها استعراض لقوة المال .. حتى ولو جاء على شكل إعلان بالموت !!

وتعالوا نتابع التطور الذي حدث أخيرا في صفحات الوفيات خصوصا في الزميلة « الأهرام » التي ترسخ في ذهن ووجدان الناس أن عدم نشر « الإعلام بالموت » فيها يعني أن الموت نفسه — لا سمح الله — قد وقع !! بل إن بعض كبار الصحفيين يحرصون على نشر أخبار وفياتهم في « الأهرام » رغم أنهم يعملون في صحف أخرى ، وهذا ترسيخ لظاهرة « الأهرام .. والموت !! »

•• ففي الفترة الأخيرة لم تعد أسرة المتوفى تكتفي بنشر « الإعلان بالموت » على عمود كامل — من فوق لتحت — بل زحفت الظاهرة إلى الأعمدة المجاورة .. ووجدنا من احتلت عملية الإعلان عن وفاته نصف صفحة ، بل ووصلت إلى صفحة !! لأسرة واحدة ، أو شخص واحد .. ولكنها التقاليع الجديدة ، التي أصبحت من التقاليد .

•• ثم زادت التقاليع فوجدنا أسلوبا جديدا للإعلان بالموت جاء على شكل الإعلان على عمودين أو ثلاثة يحيطها إطار أسود من جميع الجهات — ليس بالقطع زيادة في إظهار الحزن واللوعة — ولكنه إبراز لمكانة الفقيد وموقع أسرته .. ومعارفه ..

•• ثم زادت « حدة المنافسة » فوجدنا من يحجز ربع صفحة يحاط بالسواد لينشر فيه الإعلان بالموت ولكن بحروف أكبر هذه المرة .. حتى يتميز الإعلان أو يزداد بروزا .. وإذا بإعلان آخر بالموت يظهر بعده على نصف صفحة تتوسطه صورة الراحل الكريم .. وتزداد ظاهرة

« التفاخر بالموت » إلى حد الخطر . وتتحول العملية كلها إلى « صراع الأموات » فهذا لم يعد يكتفي بالموت والإعلان عنه بهذه الطريقة .

●● فإذا جاءت ذكرى الأربعين ــ وهي عادة فرعونية سأعود إلى شرح أسبابها قريبا ــ نجد الإعلان عن « ذكرى الأربعين » ليس بسطور قليلة يشكر فيها كل من شاطر « بالحضور أو بالبرق أو بالنشر » بداية من السيد رئيس الجمهورية إلى رئيس الوزراء ورئيسي مجلسي الشعب والشورى .. وكل هؤلاء لا يعرفون المتوفى ولا أسرته ، ولكنها عادة غريبة هي الأخرى غير مسبوقة في أي دولة أخرى .. غيرنا ، ليس بهذه السطور التقليدية .. ولكن على شكل إعلان آخر لا يقل عن ربع صفحة .. بل وأحيانا نصف صفحة ، وامتدت ظاهرة « الإعلان عن الأربعين » إلى الذكرى السنوية وهكذا ..

وإذا تناولنا كيف تنشر إعلانات الموت ، وماذا ينشر فيها اكتشفنا أن ما فيها من « معلومات » إنما هي إعلان عن الأحياء .. قبل أن تكون إعلانا عن الميت . فالميت نفسه ــ أي سبب النشر ــ لا يحظى إلا بسطر واحد فيه اسمه وربما سطر آخر فيه صفته .. أما الباقي فهو إعلان عن أسرة المتوفى : اسم كل واحد ودرجة قرابته .. ثم الأهم : وظيفته أو موقعه من السلم الوظيفي .. أقصد السلم الاجتماعي الذي هو فيه .. وتظهر هذه العملية المظهرية الخطيرة

في المجتمعات ذات المناصب العليا ، لأن الهدف هنا هو التفاخر ، أما في المجتماعات أو التجمعات التجارية .. فالهدف هو الإعلان عن .. النشاط التجاري لكل من يرد اسمه في طابور الإعلان عن موت .. فلان .

وإذا كنت قد وضعت أسس سلسلة مقالاتي عن « غرائب الأسماء المصرية » من إعلانات الوفيات .. فإن القارئ البسيط يمكنه أن يربط « الأسر الحاكمة » في مصر .. من خلال متابعته لإعلانات الموتى !!

* * *

الفهـرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٨١٣٧ / ٩٢
الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٢٥٧ - ١٠٨ - ٠

غرائبُ الأسْماءِ المصْريّة

تعتبر الأسماء التي يطلقها شعب من الشعوب على أفراده وسيلة هامة من وسائل دراسة هذا الشعب ، ومعرفة التطورات الاجتماعية المختلفة التي مر بها . كما أنها أداة هامة من أدوات دراسة المزاج النفسي لهذا الشعب ، أو لفئة من فئاته .

وهذا الكتاب عالج فيه مؤلفه الكاتب الصحفي الأستاذ عباس الطرابيلي موضوع الأسماء المصرية ، وما فيها من غرائب وتأثيرات بيئية وحرفية وطبقية مختلفة معالجة العارف لبيئته ، الخبير بها .

وقد كان هذا الكتاب نتاج حوار بين الكاتب وقرائه في جريدة الوفد استمر شهورًا طويلة ، وغاص فيه المؤلف في أعماق المجتمع المصري ، ليقدم إسهامه في هذا المجال الذي ندرت الدراسات فيه ، وليفتح الباب أمام الباحثين في علوم الاجتماع والنفس لتقديم أبحاثهم في هذا الجانب من جوانب الحياة المصرية .

والله من وراء القصد

الناشر

الزهراء للإعلام العربي